تعزيز الوسطية في المجتمع المسلم

إعداد الدكتور

عبد المجيد بن محمد بن عبد الرحمن العساكر

أستاذ مساعد في قسم العلوم الفكرية

كلية أصول الدين – جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

المملكة العربية السعودية

تعزيز الوسطية في المجتمع المسلم

عبد المجيد بن محمد بن عبدالرحمن العساكر.
قسم الدراسات الفكرية ،كلية أصول الدين ،جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية .
البريد الإلكتروني :vxer222@gmail.com

الملخص :

يهدف البحث إلى الكشف عن اختصاص هذه الأمة الإسلامية بوسطيتها ودينها التامّ القويم، وهذه الوسطية شملت الدين الإسلامي كله، فكانت في الأمور الدنيوية والشرعية والعقائدية، مما يجعل لها عظيم القدر والأثر، ويعلي بها مكانه الدين والأمة، ويعظّم مسؤوليتها كذلك، وهي وسطية ليس فيها اتباع الهوى، ولا خلل بالثوابت والأصول والمقاصد، بل وسطية تنضبط بالضوابط الشرعية والأحكام الربّانية، وتتمثل أهمية البحث في أهمية موضوعه ومكانته، وهو الوسطية، فلا شك في أهمية الوسطية في الإسلام مكانة فيها، بل ومحوريّتها أيضا، خاصة في ظل القضايا المعاصرة التي تعيشها الأمة مع ظوهر التطرف والغلو وما يقابله من الانحلال والتفريط، وما للوسطية من الأثر البالغ في حماية الدين والعقيدة والحفاظ على تماسك المجتمع وتمسّكه بدينه القويم؛ ليكشف بذلك عن بيان مكانة الوسطية وموقعها في الدين الإسلامي الحنيف، وإبراز مفهوم الوسيطة التي تميز بها الدين الإسلامي، التأكيد على أثر الوسطية في تماسك المجتمع والحفاظ على سلامته، بيان شمول الوسطية لجوانب الدين الإسلامي كلها، الاحتراز مما يعوق تحقق الوسطية والاعتدال في المجتمع.

الكلمات المفتاحية: تعزيز، الوسطية، الاعتدال، تماسك المجتمع، المجتمع المسلم .

Enhancing moderation in the Muslim community

Abdul Majeed bin Muhammad bin Abdul Rahman Al -Asaker.
Department of Intellectual Studies, College of Fundamentals of Religion, Imam Muhammad bin Saud Islamic University, Saudi Arabia.
Email: vxer222@gmail.com

Abstract:

The research aims to reveal the jurisdiction of this Islamic nation with its moderation and its complete right religion, and this moderation included the entire Islamic religion, so it was in worldly, legal and ideological matters, which makes it a great amount of destiny and impact, and raises its place of religion and the nation, and increases its responsibility as well, and it is a moderation in which there is no follower Fancy, and there is no defect in constants The principles and purposes, but rather a moderate, are controlling the legal controls and divine rulings, and the importance of research is the importance of its subject and its position, which is moderation, there is no doubt about the importance of moderation in Islam as a place in it, and even its pivotal, especially in light of the contemporary issues that the nation lives with with the essence of extremism, exaggeration and what it meets From dissolution and negligence, and what The moderation is a great impact on protecting religion and belief and preserving the cohesion of society and adhering to its right -wing religion; To reveal the statement of the status of moderation and its position in the true Islamic religion, and highlighting the concept of the mediator that characterized the Islamic religion, emphasizing the impact of moderation in the cohesion of society and preserving its safety, a statement of the inclusion of moderation or all aspects of the Islamic religion, precaution, which hinders the achievement of moderation and moderation in society.

Keywords: promotion, moderation, moderation, community cohesion, Muslim community.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة:

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا، وله الحمد أن جعلنا خير أمة، كما قال في كتابه العزيز: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ [آل عمران: ١١٠]، وصلاة وسلاما على نبيه المصطفى، المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آل بيته الطاهرين، وأصحابه الغرّ الميامين، والتابعين بإحسان إلى يوم الدين، الذين جعلهم الله ﷻ شهداء على العالمين.

وكان من تمام نعمة الله ومزيد فضله ﷻ أن امتن علينا فجعلها أمة وسطا، فقال: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة: ١٤٣]، وسطا عدولا من خيرة خلقه، شهداء على الناس.

ذلك بما اختص الله ﷻ به هذه الأمة بوسطيتها ودينها التامّ القويم.

وهذه الوسطية كما شملت الدين الإسلامي كله، شملت الأمور الدنيوية كذلك من المنظور الشرعي لها، مما يجعل لها عظيم القدر والأثر، ويعلي بها مكانه الدين والأمة، ويعظّم مسؤوليتها كذلك، وسطية ليس فيها اتباع الهوى، ولا خلل بالثوابت والأصول والمقاصد، بل وسطية تنضبط بالضوابط الشرعية والأحكام الربّانية.

فالإسلام في جملته دين وسط، فلا إهمال فيه لأمر على حساب آخر، فللدين قدره ومكانته، وللدنيا ما يصلحها ويعمّرها، وللعبادات قدرها ومكانتها، للمعاملات فيه كذلك، وكما لنقاء الروح وطهرها مكان فللنفس البشرية وغرائزها حظها الوافر، وهكذا في سائر أمور الدين والدنيا.

فلما كانت الوسطية كذلك، وكان هذا موقعها في الدين، كان لازم على أهل الإسلام تعزيزها وبثها في نفوس المجتمع المسلم. ومن هنا جاءت فكره هذا البحث: "**تعزيز الوسطية في المجتمع المسلم**".

أهمية البحث:

تتمثل أهمية البحث في أهمية موضوعه ومكانته، وهو الوسطية، فلا شك في أهمية الوسطية في الإسلام مكانة فيها، بل ومحوريّتها أيضا، خاصة في ظل القضايا المعاصرة التي تعيشها الأمة مع ظوهر التطرف والغلو وما يقابله من الانحلال والتفريط، وما للوسطية من الأثر البالغ في حماية الدين والعقيدة والحفاظ على تماسك المجتمع وتمسّكه بدينه القويم.

أسئلة البحث:

يحاول البحث أن يجيب على الأسئلة التالية:

١- ما هو مفهوم الوسطية؟

٢- هل الوسطية شاملة لجوانب الدين كلها؟

٣- ما أثر تعزيز الوسطية في المجتمع؟

٤- ما معوقات تحقيق الوسطية في المجتمع وسبل دفعها؟

أهداف البحث:

١- بيان مكانة الوسطية وموقعها في الدين الإسلامي الحنيف.

٢- إبراز مفهوم الوسيطة التي تميز بها الدين الإسلامي.

٣- التأكيد على أثر الوسطية في تماسك المجتمع والحفاظ على سلامته.

٤- بيان شمول الوسطية لجوانب الدين الإسلامي كلها.

٥- الاحتراز مما يعوق تحقق الوسطية والاعتدال في المجتمع.

الدراسات السابقة:

لم أقف على دراسة أو بحث بهذا العنوان، "تعزيز الوسطية في المجتمع المسلم"، وقد تناول الوسطيةَ في الإسلام بعضُ البحوث الدراسات، ومنها:

١- بلوغ الآمال في الوسطية والاعتدال، أ. د. عبد الرحمن السديس، المملكة العربية السعودية، الرئاسة العالم لشؤن المسجد الحرام والمسجد النبوي، إدارة الأمن الفكري بالمسجد الحرام، سلسلة الإصدارات العالمية، الإصدار رقم ٥، نشر دار مدار الوطن للنشر، الرياض، الطبعة الثالثة، ١٤٣٨هـ - ٢٠١٧م.

٢- الوسطية في الإسلام وأثرها في تحقيق الأمن، د. سعيد بن فالح المغامسي، نشر بالمجلة العربية للدراسات الأمنية والتدريب، المجلد ١٩، عدد ٣٨، ٢٠٠٤م.

٣- وسطية العقيدة الإسلامية وأثرها في تحقيق الأمن الفكري، د. أحمد عبد الصمد محمد الأمين، نشر في مجلة أبحاث، جامعة الحديدة، كلية التربية، المجلد ١١، العدد ١، ٢٠٢٤م.

٤- دور الوسطية في تعزيز الوحدة الوطنية، د. فرات عبد الكريم الجبوري، نشر بمجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية، جامعة بابل، العدد ١٩، سنة ٢٠١٥م.

وقد تناولت بعض هذه الدراسات والأبحاث الوسطية بشكل عام، وتناولها البعض الآخر من أحد جوانبها.

ويختص هذا بتناول سبل تعزيز الوسطية في المجتمع المسلم، وبيان أثرها فيه.

خطة البحث:

جاء هذا البحث في مقدمة، وتمهيد، وثلاثة مباحث، وخاتمة.

المقدمة: تشتمل على: أهمية البحث، وأسئلته، وأهدافه، والدراسات السابقة.

تمهيد: حول مفهوم الوسطية لغة واصطلاحا.

المبحث الأول: مشروعية الوسطية من الكتاب، والسنة، وفهم السلف، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الوسطية في القرآن الكريم والسنة النبوية.

المطلب الثاني: الوسطية في السنة النبوية.

المطلب الثالث: الوسطية في فهم السلف.

المبحث الثاني: معالم الوسطية في الإسلام، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: وسطية الإسلام في العقائد.

المطلب الثاني: وسطية الإسلام في العبادات.

المطلب الثالث: وسطية الإسلام في المعاملات.

المبحث الثالث: تعزيز الوسطية في المجتمع المسلم، وفيه مطلبان.

المطلب الأول: سبل تعزيز الوسطية في المجتمع المسلم.

المطلب الثاني: معوقات تعزيز الوسطية في المجتمع المسلم.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج والتوصيات.

التمهيد

حول مفهوم الوسطية

مفهوم الوسطية في اللغة:

تدل الوسطية لغة على معاني: العدل، والخيرية، والأفضلية، والتوسط بالمعنى الظرفي من الانتصاف.

فـ "الواو والسّين والطّاء: بناء صحيح يدلّ على العدل، والنّصف.

وأعدل الشيء: أوسطه، ووسطه، قال الله عز وجل: ﴿أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: ١٤٣].

تأتي – بالفتح– صفة، بمعنى خيار، وأفضل، وأجود، فأوسط الشيء أفضله وخياره، كوسط المرعى خير من طرفيه، ومرعى وسط أي: خيار.

ويقولون: ضربتُ وَسَطَ رأسِه –بفتح السين– ووسْط القوم –بسكونها–، وهو أوسَطُهم حسبًا – إذا كان في واسطةِ قومه وأرفعهم محلا"[(١)].

والعرب تصف فاضل النّسب بأنه أوسط قومه، وفلان من واسطة قومه، أي: من أعيانهم، وهو من أوسط قومه، أي من خيارهم وأشرافهم، وهذا يعرف حقيقته أهل اللغة، لأن العرب تستعمل التمثيل كثيرا، فخير الوادي وسطه، فيقال: هذا من وسط قومه، ومن وسط الوادي، وسرر الوادي، وسرارته، وسره، ومعناه كله من خير مكان فيه[(٢)].

ووسط الشيء وأوسطه أعدله، ورجل وسط ووسيط خير من ذلك[(٣)].

والوسط –محركة– من كل شيء: أعدله[(٤)].

---

(١) معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ)، المحقق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، عام النشر: ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م، ١٠٨/٦: وسط.

(٢) تهذيب اللغة، المؤلف: أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار النشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت - ٢٠٠١م، الطبعة: الأولى، ١٣/ ٢١، باب: السين مع الطاء بتصرف يسير.

(٣) المحكم والمحيط الأعظم، المؤلف: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي - سنة الوفاة ٤٥٨هـ، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، الناشر: دار الكتب العلمية، مكان النشر: بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠م، ٨/ ٥٩٦.

(٤) تاج العروس من جواهر القاموس، المؤلف: محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى الزَّبيدي (المتوفى: ١٢٠٥هـ)،المحقق: مجموعة من المحققين، الناشر:دار الهداية١٦٧/٢٠:و س ط.

وفي السنة ما يؤيد هذا المعنى، ففي الصحيح في قوله ﷻ: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗاۗ ﴾ [البقرة: ١٤٣]، والوسط: العدل(١).

وليس بين العدل والخيرية تباعد في المعنى، وإنما كل منها يرجع للآخر في شيء ويزيد عليه في آخر، قال الزجاج(٢): "وفي قوله: ﴿أُمَّةً وَسَطًا﴾ قولان، قال بعضهم وسطا: عدلًا، وقال بعضهم: أخياراً، واللفظان مختلفان والمعنى واحد، لأن العدل خير والخير عدل"(٣).

إلا أن بعض أئمة اللغة فرّق بين كلمة وسَط – بالتحريك – ووسْط بالسكون، فذهبوا إلى إن كل موضع يأتي فيه الوسط بمعنى: (بين) فهو بالسّكون، وما لا يصلح فيه معنى (بين) فهو بالفتح.

فجاء في لسان العرب: "واعلم أن الوسَط قد يأتي صفة، وإن كان أصله أن يكون اسما من جهة أن أوسط الشيء أفضله وخياره؛ كوسط المرعى خير من طرفيه، وكوسط الدابة للركوب خير من طرفيها لتمكن الراكب..

---

(١) صحيح البخاري (٤٤٨٧)، وسيأتي.

(٢) إبراهيم بن السري أبو إسحاق الزَّجَّاج، من أئمة العربية في زمانه، حكى عنه أبو محمد بن درستويه قال: كنت أخرط الزجاج فاشتهيت النحو، فلزمت المبرد، وكان لا يعلم مجانا، فقال لي: أي شيء صنعتك؟ قلت: زجاج، وكسبي كل يوم درهم ونصف، وأريد أن تبالغ في تعليمي، وأعطيك كل يوم درهما، وأشرط أني أعطيكه إلى أن يفرق بيننا الموت، من مصنفاته: معاني القُرْآن وَشرح إعرابه، الاشْتِقَاق، الأنواء، تُوفي سنة ٣١٦ هـ. انظر: تاريخ العلماء النحويين من البصريين والكوفيين وغيرهم، المؤلف: أبو المحاسن المفضل بن محمد بن مسعر التنوخي المعري (المتوفى: ٤٤٢هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الفتاح محمد الحلو، الناشر: هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، القاهرة، الطبعة: الثانية ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م، ص:٣٨، تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام، المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، المحقق: الدكتور بشار عوّاد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٣م، ٢٣٣/٧.

(٣) معاني القرآن وإعرابه، المؤلف: إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (المتوفى: ٣١١هـ)، المحقق: عبد الجليل عبده شلبي، الناشر: عالم الكتب – بيروت، الطبعة: الأولى ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨م، ١/ ٢١٩.

وقوله ﷻ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ﴾ [الحج: ١١]؛ أي على شك، فهو على طرف من دينه غير متوسط فيه ولا متمكن، فلما كان وسط الشيء أفضله وأعدله جاز أن يقع صفة، وذلك في مثل قوله ﷻ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا﴾ [البقرة: ١٤٣]؛ أي عدلا، فهذا تفسير الوسط وحقيقة معناه، وأنه اسم لما بين طرفي الشيء وهو منه.

قال: وأما الوسْط، بسكون السين، فهو ظرف -لا اسم- جاء على وزان نظيره في المعنى وهو (بين)، تقول: جلست وسْط القوم أي بينهم..، ولما كانت (بين) ظرفا كانت (وسْط) ظرفا، ولهذا جاءت ساكنة الأوسط لتكون على وزانها، ولما كانت (بين) لا تكون بعضا لما يضاف إليها بخلاف الوسط الذي هو بعض ما يضاف إليه كذلك (وسْط) لا تكون بعض ما تضاف إليه، ألا ترى أن وسط الدار منها ووسط القوم غيرهم؟

ومن ذلك قولهم: وسَط رأسه صلب لأن وسط الرأس بعضها، وتقول: وسْط رأسه دهن، فتنصب وسط على الظرف، وليس هو بعض الرأس.

فقد حصل لك الفرق بينهما من جهة المعنى ومن جهة اللفظ؛ أما من جهة المعنى فإنها تلزم الظرفية وليست باسم متمكن يصح رفعه ونصبه على أن يكون فاعلا ومفعولا وغير ذلك، بخلاف الوسط، وأما من جهة اللفظ فإنه لا يكون من الشيء الذي يضاف إليه بخلاف الوسط"(١).

وأشار لذلك في تاج العروس بقوله: "وقديماً كنت أسمع شيوخنا يقولون في الفرق بينهما كلاماً شاملا لما ذكر، وهو: السّاكن متحرّك، والمتحرّك ساكن"(٢).

وقيل: كل منهما يقع موضع الآخر.

---

(١) لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (ت٧١١هـ)، الحواشي: لليازجي وجماعة من اللغويين، الناشر: دار صادر – بيروت، الطبعة الثالثة، سنة ١٤١٤هـ، ٧/ ٤٢٧-٤٢٨ باختصار.

وانظر أيضا: تاج العروس ١٧٧/٢٠-١٧٨: و س ط.

(٢) تاج العروس ١٧٨/٢٠: و س ط.

قال في النهاية: "الوسْط بالسكون. يقال فيما كان متفرق الأجزاء غير متصل، كالناس والدواب وغير ذلك، فإذا كان متصل الأجزاء كالدار والرأس فهو بالفتح.

وقيل: كل ما يصلح فيه بين فهو بالسكون، وما لا يصلح فيه بين فهو بالفتح.

وقيل: كل منهما يقع موقع الآخر، وكأنه الأشبه"(١).

لكن في مختار الصحاح ذكر أن التسوية بينهما "ليس بجيد"(٢).

وعلى هذا فيمكننا القول أن المستقر في لغة العرب أنهم إذا أطلقوا كلمة (وسط) أرادوا معاني: الخيرية، والعدل، ورفعة المكانة وعلوّها، أو معنى الظرفية من الوسط بمعنى التوسط والانتصاف بين طرفين.

مفهوم الوسطية في الاصطلاح:

تعددت تعريفات الوسطية، لكنها لم تبعد عن المعنى اللغوي لها، ومن هذه التعريفات:

عُرِّفت بأنها: "العدالة التي تنصف بين الطرفين، فلا تجنح إلى أحدهما، بل تكون بينهما باتزان"(٣).

وعُرِّفت أيضا بأنها: "التزام خط الوسط بين جميع المتناقضات والمتضادات والمتقابلات؛ وهو التوسط في الأمور والابتعاد عن طرفي الإفراط ولتفريط"(٤).

وعُرِّفت بأنها: "حالة محمودة غالبا، تقوم في العقل الإنساني السليم بالفطرة، وتعصمه من الميل إلى جانبي الإفراط والتفريط"(٥).

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر، المؤلف: مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (المتوفى: ٦٠٦هـ)، الناشر: المكتبة العلمية - بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى - محمود محمد الطناحي، ١٨٣/٥: وسط.

(٢) مختار الصحاح، المؤلف: زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي المتوفى: ٦٦٦هـ المحقق: يوسف الشيخ محمد:المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت - صيدا الطبعة: الخامسة، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م، ص: ٣٣٨: و س ط.

(٣) معالم الوسطية ومقوماتها في الإسلام، المؤلف: د. محمد ولي الله عبدالرحمن، الناشر: مجلة كلية الشريعة والقانون بطنطا، جامعة الأزهر – مصر، العدد ٣٤، الجزء ٢/١، ص: ٢٤٢.

(٤) دور الوسطية في تعزيز الوحدة الوطنية، المؤلف: د. فرات عبد الكريم الجبوري، الناشر: مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية، جامعة بابل، العدد: ١٩، سنة ٢٠١٥م، ص: ٣٦٠.

(٥) الوسطية في الإسلام، المؤلف: محمد عبد اللطيف صالح الفرفور، الناشر: دار النفائس، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٩٣م، ص: ٢٧.

ومن أخصر تعريفات الوسطية وأكثرها شمولا أن الوسطية هي: "الاعتدال في كل أمر"[1].

ومن المختصين من جعل الوسطية قسمين: وسطية الأمة، ووسطية الفرد.

قال الدكتور عبد الرحمن السديس:

"أم الوسطية في الاصطلاح، فلها معنى يخص الأمة، ومعنى يخص الفرد:

أما وسطية الأمة فهي:

مؤهل الأمة الإسلامية من العدالة والخيرية الصلاح، مما جعلها أهلا لتكون شاهدة على العاملين، قال ﷻ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: ١٤٣] .

ووسطية الفرد فهي:

التوسط في الأمور باختيار أفضلها وأحسنها وأعدلها، فالوسطية هي الخيرية والأفضلية، وكل وسط يصاحبه الخير ويكون هو الأفضل، ومن ذلك قول أبي بكر الصديق رضي الله عنه يوم السقيفة عن أفضلية قريش: (هم أوسط العرب نسبا ودارا)"[2].

ويتضح مما سبق المعنى الاصطلاحي للوسطية لا يبعد عن المعنى اللغوي لها، وأنه خرج من رحمه، ودار في فلكه، كما يتبين أيضا أن للوسطية –من جهة مدلولها– بُعدٌ معنوي، وآخر حسيّ؛ أما البعد المعنوي فيتضمن معاني: الخيرية، والأفضلية، والعدالة، ورفعة المكانة، وأما المعنى الحسي فيتضمن: التوسط بين طرفين، وهما هنا: طرف الإفراط والغلو، في مقابلة الطرف الآخر، وهو: التفريط والانحلال.

فالوسطية تمسك بالحق بلا إفراط، وبعد عن الباطل بلا تفريط.

---

(١) مفاهيم خاطئة في الوسطية بين الإفراط والتفريط (رؤية في ضوء الإسلام)، للباحثة: بسمة أحمد جستينية، أبحاث ندوة الوسطية، منشورات كرسي الإمام محمد بن عبد الوهاب للوسطية ودراستها، المدينة المنورة، ٤٢/١.

(٢) بلوغ الآمال في تحقيق الوسطية والاعتدال، تأليف معالي الشيخ الأستاذ الدكتور عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس، الناشر: مدار الوطن للنشر، المملكة العربية السعودية، الرئاسة العامة لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي، إدارة الأمن الفكري بالمسجد الحرام، الطبعة الثالثة، ١٤٣٧هـ، ص: ٢١-٢٢.

المبحث الأول

مشروعية الوسطية من الكتاب والسنة، وفهم السلف

المطلب الأول

الوسطية في القرآن الكريم

ورد الوسط وما يشتق منه في عدة مواضع من القرآن الكريم، وؤوّل بما يؤيد المعاني السابقة للوسطية –لغة واصطلاحا– من جهة العموم، ومن ذلك:

قوله ﷻ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗاۗ﴾ [البقرة: ١٤٣]، فأوّل قوله ﷻ: ﴿وَسَطٗا﴾ بالعدل، والخيرية.

ففي الصحيح عن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله ﷺ: "يدعى نوح يوم القيامة، فيقول: لبيك وسعديك يا رب، فيقول: هل بلغت؟ فيقول: نعم، فيقال لأمته: هل بلغكم؟ فيقولون: ما أتانا من نذير، فيقول: من يشهد لك؟ فيقول: محمد وأمته، فتشهدون أنه قد بلغ: ﴿وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗاۗ﴾ [البقرة: ١٤٣]. فذلك قوله جل ذكره: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗاۗ﴾ [البقرة: ١٤٣]، والوسط: العدل"(١).

وقوله ﷺ: (والوسط العدل) هو من لفظ الحديث، وليس تفسيرا مدرجا من أحد الرواة، قال ابن حجر(٢): "قوله: (والوسط العدل) هو مرفوع من نفس الخبر، وليس

---

(١) رواه البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب قوله ﷻ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗاۗ﴾ [البقرة: ١٤٣]، (٤٤٨٧).

(٢) أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، فريد زمانه، وحامل لواء السنة في أوانه، فحظ القرآن في صغره، وأم الناس في التراويح بالحرم وهو ابن اثني عشر سنة، طلب علم، وبرع في عدد من علوم السنة، كعلم الرجال والعلل، وشرح الحديث وغيرها، وله عدة مصنفات فيها، منها: "الإصابة في معرفة الصحابة"، و"فتح الباري شرح صحيح البخاري"، مات سنة: ٨٥٢، ينظر: الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر، المؤلف: شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد السخاوي (المتوفى: ٩٠٢هـ)، المحقق: إبراهيم باجس عبد المجيد، الناشر: دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩م، ١/ ١٠١، نظم العقيان في

بمدرج من قول بعض الرواة -كما وهم فيه بعضهم-، وسيأتي في الاعتصام بلفظ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾عدلا)"[1].

قلت: ويدل عليه أيضا لفظ سنن الترمذي، عن أبي سعيد، عن النبي ﷺ في قوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ قال: «عدلا»[2].

أما التأويل، فقال الماوردي[3]: "قوله ﷻ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: يعني خياراً، من قولهم: فلان وسط الحَسَبِ في قومه، إذا أرادوا بذلك الرفيع في حسبه.

والثاني: أن الوسط من التوسط في الأمور، لأن المسلمين تَوَسَّطُوا في الدين، فلا هم أهل غلوٍّ فيه، ولا هم أهل تقصير فيه , كاليهود.

والثالث: يريد بالوسط: عدلاً، لأن العدل وسط بين الزيادة والنقصان"[4].

أعيان الأعيان، المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، المحقق: فيليب حتي، الناشر: المكتبة العلمية – بيروت، ص: ٤٥.

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري، المؤلف: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، الناشر: دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩هـ، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، ١٧٢/٨.

(٢) رواه الترمذي بهذا اللفظ، أبواب تفسير القرآن، باب ومن سورة البقرة، (٢٩٦١)، وهو في البخاري بلفظ أطول من هذا، وسيأتي قريبا في المطلب القادم.

(٣) علي بن محمد بن حبيب، أبو الحسن البصري، المعروف بالماوردي نسبة إلى بيع الماورد، من وجوه الفقهاء الشافعيين، وجعل إليه ولاية القضاء ببلدان كثيرة، وكان عالمًا بارعا متفننًا شافعيًا في الفروع، ومعتزليا في الأصول، وكان ذا منزلة من ملوك بني بويه، يرسلونه في التوسطات بينهم وبين من يناوئهم، ويرتضون بوساطته، قال محمد بن عبد الملك الهمذاني، حدثني أبي قال: سمعت الماوردي يقول: بسطت الفقه في أربعة آلاف ورقة، واختصرته في أربعين، يريد بالمبسوط كتاب "الحاوي"، وبالمختصر كتاب "الاقناع"، وله تصانيف عدة في أصول الفقه، وفروعه وغيرها، منها: كتاب تفسير القرآن. وكتاب الأحكام السلطانية. وكتاب في النحو رأيته في حجم الايضاح أو أكبر. وكتاب قوانين الوزارة. وكتاب تعجيل النصر وتسهيل الظفر، مات ببغداد سنة (٤٥٠هـ). ينظر: تاريخ بغداد المؤلف: أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (المتوفى: ٤٦٣هـ)، المحقق: الدكتور بشار عواد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م، ٥٨٧/١٣، معجم الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، المؤلف: شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (المتوفى: ٦٢٦هـ)، المحقق: إحسان عباس، الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣م ١٩٥٥/٥، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، المؤلف: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (المتوفى: ٦٨١هـ)، المحقق: إحسان عباس، الناشر: دار صادر، بيروت. الطبعة: من ١٩٠٠م، إلى ١٩٩٤م ٢٨٢/٣.

(٤) تفسير الماوردي = النكت والعيون، المؤلف: أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: ٤٥٠هـ)، المحقق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان، ١٩٨/١-١٩٩ باختصار يسير.

وقال ابن جرير الطبري[١]: "وأمّا الوسط فإنه في كلام العرب: الخيار، يُقال منه: فلان وسط الحسب في قومه، أي متوسط الحسب، إذا أرادوا بذلك الرّفع في حسبه"[٢].

ثم قال: "وأنا أرى أن الوسط في هذا الموضع هو الوسط الذي بمعنى الجزء الذي هو بين الطرفين، مثل (وسط الدار) محرك الوسط مثقّله، غير جائز في سِينِه التخفيف..

وأما التأويل فإنه جاء بأن الوسط العدل، وذلك معنى الخيار؛ لأن الخيار من الناس عدولهم"[٣].

قال ابن الجوزي[٤]: "وأصل ذلك أن خير الأشياء أوساطها، والغلو والتقصير مذمومان"[٥]. ثم ذكر كلام الطبري.

وبنحو التأويلات السابقة أُوِّل ما ورد في كتاب الله ﷻ من مشتقات لفظ الوسط:

---

(١) أبو جعفر، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الطبري، الإمام، المفسر، المحدث، الفقيه، المقرئ، المؤرخ المعروف المشهور، من أهل آمل بطبرستان، جامع في العلوم، كان مولده سنة أربع أو أوّل سنة خمس وعشرين ومائتين، سمع بالري، والعراق، وارتحل إلى الشام، ومصر، له تصانيف بديعة في التفسير والتاريخ والفقه وغيرها، منها: جامع البيان في التفسير، تاريخ الرسل والملوك في التاريخ، اختلاف الفقهاء في الفقه، واستوطن بغداد وتوفي بها (٣١٠هـ). انظر: تاريخ بغداد المؤلف: أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت ابن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (المتوفى: ٤٦٣هـ)، المحقق: الدكتور بشار عواد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م، ٥٤٨/٢، معجم الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، المؤلف: شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (المتوفى: ٦٢٦هـ)، المحقق: إحسان عباس، الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م، ٢٤٤١/٦، سير أعلام النبلاء، المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، المحقق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥م، ٢٦٧/١٦.

(٢) تفسير الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر الدكتور عبد السند حسن يمامة، الناشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١م، ٦٢٦/٢.

(٣) تفسير الطبري ٦٢٦/٢-٦٢٧ باختصار.

(٤) عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، القرشي، البغدادي، أبو الفرج، الحافظ المفسر، الفقيه الواعظ، الأديب جمال الدين أبُو الفرج، المعروف بابن الجوري، كان علامة عصره وإمام وقته في الحديث، وصناعة الوعظ، له نحو خمس مائة مصنف، منها: تلقيح فهوم أهل الآثار في مختصر السير والأخبار، والموضوعات، وتلبيس إبليس، والتحقيق في مسائل الخلاف، والتبصرة، وغير ذلك. توفي ٥٩٧هـ. ينظر: ذيل طبقات الحنابلة، المؤلف: زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (المتوفى: ٧٩٥هـ)، المحقق: د عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، الناشر: مكتبة العبيكان – الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٥ م ٤٥٨/٢، المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد، المؤلف: إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن محمد ابن مفلح، أبو إسحاق، برهان الدين (المتوفى: ٨٨٤هـ)، المحقق: د عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، الناشر: مكتبة الرشد - الرياض – السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م، ٩٣/٢.

(٥) زاد المسير في علم التفسير، المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤٢٢ هـ، ١/ ١١٩.

قوله ﷻ: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ﴾ [البقرة: ٢٣٨]، ففي الصحيح أنها صلاة العصر، وفي التأويل أنها أوسطها محلا، وقيل أفضلها.

فعن علي ﷺ قال: لما كان يوم الأحزاب قال رسول الله ﷺ: «ملأ الله بيوتهم وقبورهم نارا، شغلونا عن الصلاة الوسطى حتى غابت الشمس»(١).

قال ابن الجوزي: "وفي المراد بالوسطى ثلاثة أقوال: أحدها: أنها أوسط الصلوات محلا. والثاني: أوسطها مقدارا. والثالث: أفضلها، ووسط الشيء: خيره وأعدله"(٢).

وكذلك قوله ﷻ: ﴿مِنۡ أَوۡسَطِ مَا تُطۡعِمُونَ أَهۡلِيكُمۡ﴾ [المائدة: ٨٩]، فؤوّل: بأعدله، وقيل: وسط بين القلة والكثرة.

قال الطبري: "يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿مِنۡ أَوۡسَطِ مَا تُطۡعِمُونَ أَهۡلِيكُمۡ﴾ "(٣).

ونقل الماوردي وابن الجوزي في قوله ﷻ: ﴿مِنۡ أَوۡسَطِ مَا تُطۡعِمُونَ أَهۡلِيكُمۡ﴾ قولين: أحدهما: من أوسط أجناس الطعام. والثاني: من أوسطه في القدر(٤).

وكذلك أوّل قوله ﷻ: ﴿قَالَ أَوۡسَطُهُمۡ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ لَوۡلَا تُسَبِّحُونَ ٢٨﴾[القلم: ٢٧]، فقيل: أعدلهم، وقيل: خيرهم، وقيل: أعقلهم.

قال الطبري: "وقوله: ﴿قَالَ أَوۡسَطُهُمۡ﴾ يعني: أعدلهم"(٥).

وقال الماوردي: ﴿قَالَ أَوۡسَطُهُمۡ﴾ فيه ثلاثة أوجه: أحدها: يعني أعدلهم، قاله ابن عباس. الثاني: خيرهم، قاله قتادة. الثالث: أعقلهم، قاله ابن بحر"(٦).

---

(١) رواه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب الدعاء على المشركين بالهزيمة والزلزلة، (٢٩٣١)، ومسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب التغليظ في تفويت صلاة العصر وباب الدليل لمن قال الصلاة الوسطى هي صلاة العصر، (٦٢٧).
(٢) زاد المسير ١/ ٢١٥.
(٣) تفسير الطبري ٦٢٣/٨.
(٤) تفسير الماوردي ٦١/٢، زاد المسير ٥٧٩/١-٥٨٠.
(٥) تفسير الطبري ١٨٠/٢٣.
(٦) تفسير الماوردي ٦٩/٦.

أما قوله ﷻ: ﴿فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا ۝٥﴾ [العاديات: ٥] فقد أُوّل بالتوسط الحسي:

قال الطبري: "وقوله: ﴿فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا ۝٥﴾ يقول تعالى ذكره: فوسطن بركبانهن جمع القوم، يقال: وسطت القوم بالتخفيف، ووسطته بالتشديد، وتوسطته: بمعنى واحد. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل"(١).

وعلى هذا يمكننا إجمال القول: إن الوصف بالتوسط والوسطية في كتاب على أُوّل على معنى: العدل والخيرية كما في قوله ﷻ: ﴿أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: ١٤٣]، وقوله ﷻ: ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ﴾ ، وأُول بالتوسط الحسي بين طرفين كما في قوله ﷻ: ﴿فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا﴾ وأولا بكليهما في قوله ﷻ: ﴿حَٰفِظُوا۟ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾.

وأنه لا ينفك إجمال عن معنى الخيرية والعدول، وهو المقصود بما وصف به الدين الإسلامي وأمّته.

(١) تفسير الطبري ٥٨٢/٢٤.

المطلب الثاني

الوسطية في السنة النبوية

أرسل الله ﷻ نبيه ﷺ رحمة للعالمين، كما قال ﷻ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، وأنزل معه لتحقيق تلك الغاية -رحمة العالمين- الكتاب والحكمة، فالكتاب كلام الله ﷻ، والحكمة سنة نبيه ﷺ، فشرع بهما ﷻ ما فيه تلك الرحمة للعالمين كافة، فكانت سنته ﷺ كلها رحمة وخير، سواء في القول أو الفعل أو التقرير، وزادها كمالا وجمالا وإبرازا للوسطية فيها ما وهبه الله ﷻ من الخُلق العظيم، كما قال ﷻ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ٤﴾ [القلم: ٤].

هذا، وتتمثل ووسطية السنة فاعتدال ما جاء به النبي ﷺ من أحكام وتشريعات وأقوال وأفعال وأوامر ونواهي، تعد ميزانا للاعتدال، ومجافاة للانحراف بطرفيه، وكونها وسط بين طرفين، فلا إفراط ولا تفريط[1].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية[2]: "ليس في السنة إفراط ولا تفريط"[3].

---

(١) ينظر: بلوغ الآمال ص: ٣١-٣٢.

(٢) أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن تيمية، الإمام العلامة الحافظ الحجة، فريد العصر، بحر العلوم، تقي الدين أبو العباس الحراني، ثم الدمشقي، ولد بحران في ربيع الأول سنة إحدى وستين وست مائة، وقدم دمشق مع والده المفتي شهاب الدين، وبرع في علوم الآثار والسنن، ودرس وأفتى وفسر وصنف التصانيف البديعة، وانفرد بمسائل فنيل من عرضه لأجلها، ومات معتقلا بقلعة دمشق، فخرجت دمشق كلها في جنازته، من مؤلفاته: مجموع الفتاوى، الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، الاستقامة، تلبيس الجهمية، درء تعارض العقل والنقل، وغيرها كثير توفي سنة ٧٢٨هـ. انظر: المعجم المختص بالمحدثين، المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، تحقيق: د. محمد الحبيب الهيلة، الناشر: مكتبة الصديق، الطائف، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨م، ص: ٢٥، المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي، المؤلف: يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي، أبو المحاسن، جمال الدين (المتوفى: ٨٧٤هـ)، حققه ووضع حواشيه: دكتور محمد محمد أمين، تقديم: دكتور سعيد عبد الفتاح عاشور، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٣٥٨/١، الأعلام، المؤلف: خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي، الناشر: دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة عشر - أيار / مايو ٢٠٠٢م، ١٤٤/١١.

(٣) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، حققه وخرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط، الناشر: مكتبة دار البيان، دمشق، عام النشر: ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥م، ص: ٦١.

وكيف لا يكون كذلك، وهو ﷺ الذي أخبر أن هذا الدين يسر، ولا يشاده أحدٌ إلا غلبه، فعن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «إن الدين يسر، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه، فسددوا وقاربوا، وأبشروا، واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة»(١).

فكانت سنته ﷺ يسر وسط، لا تنشغل بجانب على حساب الآخر، ومن ذلك:

حين سمع النبي ﷺ أن قوما تقالّوا عبادته، فزعم أحدهم أنه يصوم ولا يفطر، والآخر يقوم ولا ينام، وثالث يتبتل فلا يتزوج النساء، وما في ذلك من المشقة والمفسدة ما الله به عليم، نهى عن ذلك، بل وأخبر أنه مخالف للسنة لما فيه من المفسدة فضلا عن المشقة، ففي الصحيح: أنس بن مالك رضي الله عنه، يقول: جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ، يسألون عن عبادة النبي ﷺ، فلما أخبروا كأنهم تقالوها، فقالوا: وأين نحن من النبي ﷺ؟ قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، قال أحدهم: أما أنا فإني أصلي الليل أبدا، وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا، فجاء رسول الله ﷺ إليهم، فقال: «أنتم الذين قلتم كذا وكذا، أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني»(٢).

فليس من السنة الانقطاع عن الدنيا، وبتر غرائز النفس، بل توجيهها حيث أمر الله بما يصلحها ويصلح مآلها، بل هي وسط بين هذا وذاك، حيث فيها: "أصوم وأفطر، أصلي وأرقد"؛ فلا افرض في حق الله ﷻ، ولا في حق البدن، وكذلك "أتزوج النساء" لأشبع الغرائز بما أحل الله، وأسهم في إعمار الأرض.

ويؤيد ذلك ما جاء في الصحيح عن أبي جحيفة رضي الله عنه، قال: آخى النبي ﷺ بين سلمان، وأبي الدرداء، فزار سلمان أبا الدرداء، فرأى أم الدرداء متبذلة، فقال لها: ما شأنك؟ قالت: أخوك أبو الدرداء ليس له حاجة في الدنيا، فجاء أبو الدرداء

(١) رواه البخاري، كتاب الإيمان، باب الدين يسر، (٣٩).
(٢) رواه البخاري، كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح، (٥٠٦٣)، ومسلم، كتاب النكاح، باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه، (١٤٠١).

فصنع له طعاما، فقال: كل؟ قال: فإني صائم، قال: ما أنا بآكل حتى تأكل، قال: فأكل، فلما كان الليل ذهب أبو الدرداء يقوم، قال: نم، فنام، ثم ذهب يقوم فقال: نم، فلما كان من آخر الليل قال: سلمان قم الآن، فصليا فقال له سلمان: إن لربك عليك حقا، ولنفسك عليك حقا، ولأهلك عليك حقا، فأعط كل ذي حق حقه، فأتى النبي ﷺ، فذكر ذلك له، فقال النبي ﷺ: «صدق سلمان»(١).

فلم يكن فعل أبي الدرداء من ترك الدنيا والزهد فيها بما يهمل به حظ النفس، وحق الزوج هو الراجح، بل جاء السنة بالوسطية التي فيها حسن العبادة بلا جور على النفس أو البدن أو الزوج.

وإعمالا لتلك الوسطية أمر النبي ﷺ أن لا يكلف الإنسان نفسه من الأعمال إلا ما تطيق، فعن عائشة رضي الله عنها، قال رسول الله ﷺ: «يا أيها الناس، خذوا من الأعمال ما تطيقون، فإن الله لا يمل حتى تملوا، وإن أحب الأعمال إلى الله ما دام وإنْ قَلّ»(٢).

فكانت الوسطية هنا فيها رفق بالنفس، ومراعات لتقلب أحوالها، وكانت رخصة النبي ﷺ ألا تكلف النفس إلا ما تطيق، وأن العمل الدائم أحب إلى الله وإن قل، فمن كل نفسه ما لا تطيق، أما يشق عليها خاصة مع تقلب الأحوال أبدى الندم على ترك تلك الرخصة:

فهذا عبد الله بن عمرو ﷺ لما شدد على نفسه تمنى أن لو كان قبل رخصة رسو الله ﷺ، ففي الصحيح عن عبد الله بن عمرو، قال: أنكحني أبي امرأة ذات حسب، فكان يتعاهد كنته، فيسألها عن بعلها، فتقول: نعم الرجل من رجل لم يطأ لنا فراشا، ولم يفتش لنا كنفا منذ أتيناه، فلما طال ذلك عليه ذكر للنبي ﷺ فقال: «القني به»، فلقيته بعد، فقال: «كيف تصوم؟» قال: كل يوم، قال: «وكيف تختم؟»، قال: كل ليلة، قال: «صم في كل شهر ثلاثة، واقرإ القرآن في كل شهر»، قال: قلت: أطيق

(١) رواه البخاري، كتاب الصوم، باب من أقسم على أخيه ليفطر في التطوع، ولم ير عليه قضاء إذا كان أوفق له، (١٩٦٨).

(٢) رواه البخاري، كتاب اللباس، باب الجلوس على الحصير ونحوه، (٥٨٦١)، ومسلم، صلاة المسافرين وقصرها، باب فضيلة العمل الدائم من قيام الليل وغيره، (٧٨٢).

أكثر من ذلك، قال: «صم ثلاثة أيام في الجمعة»، قلت: أطيق أكثر من ذلك، قال: «أفطر يومين وصم يوما» قال: قلت: أطيق أكثر من ذلك، قال: «صم أفضل الصوم صوم داود صيام يوم وإفطار يوم، واقرأ في كل سبع ليال مرة».

قال عبد الله بن عمرو: فليتني قبلت رخصة رسول الله ﷺ، وذاك أني كبرت وضعفت، فكان يقرأ على بعض أهله السبع من القرآن بالنهار، والذي يقرؤه يعرضه من النهار، ليكون أخف عليه بالليل، وإذا أراد أن يتقوى أفطر أياما وأحصى، وصام مثلهن كراهية أن يترك شيئا، فارق النبي ﷺ عليه(١).

وزاد في المسند: "إن لكل عمل شرة، ولكل شرة فترة، فمن كانت فترته إلى سنتي، فقد أفلح، ومن كانت فترته إلى غير ذلك، فقد هلك"(٢).

ففي ذلك الأمر باتباع السنة الوسطية التي فيها مراعاة لتقلب أحوال النفس، وفيه تحذير من مجافاتها حال المنشطة والمكره.

لذلك نهى النبي ﷺ عن الغلو في الدين، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال لي رسول الله ﷺ غداة العقبة، وهو واقف على راحلته: «هات القط لي» فلقطت له حصيات هن حصى الخذف، فوضعهن في يده، فقال: «بأمثال هؤلاء» مرتين، وقال بيده – فأشار يحيى أنه رفعها – وقال: «إياكم والغلو؛ فإنما هلك من كان قبلكم بالغلو في الدين»(٣).

فإن كان النهي عن المغالاة في الدين في حصى الرمي، فما بالك بما يفوق ذلك.

فهكذا كان هديه، وهكذا كانت سنته ودعوته ﷺ وسط بلا إفراط ولا تفريط.

---

(١) رواه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب في كم يقرأ القرآن، (٥٠٥٢)، ومسلم، كتاب الصيام، باب النهي عن صوم الدهر لمن تضرر به أو فوت به حقا أو لم يفطر العيدين والتشريق، وبيان تفضيل صوم يوم، وإفطار يوم، (١١٥٩).

(٢) مسند أحمد (٦٧٦٤) بإسناد صحيح، من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه.

(٣) رواه ابن ماجه، كتاب المناسك، باب قدر حصى الرمي، (٣٠٢٩)، والنسائي، كتاب مناسك الحج، باب التقاط الحصى، (٣٠٥٧)، وأحمد (٣٢٤٨)، وابن أبي شيبة (١٣٩٠٩)، وابن أبي عاصم، كتاب السنة (ومعه ظلال الجنة في تخريج السنة بقلم: محمد ناصر الدين الألباني)، المؤلف: أبو بكر بن أبي عاصم وهو أحمد بن عمرو بن الضحاك بن مخلد الشيباني (المتوفى: ٢٨٧هـ)، الناشر: المكتب الإسلامي، الطبعة: الطبعة الأولى، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م، (٩٨)، والحاكم (١٧١١)، وابن خزيمة (٢٨٦٧)، وابن حبان (٣٨٧١).

قال الحاكم: "هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه". المستدرك ٦٣٧/١.

قال الألباني "إسناده صحيح ورجاله ثقات رجال الشيخين إن كان عوف وهو ابن أبي جميلة قد سمعه من أبي العالية فقد ذكروا له رواية عنه لكن أخرجه أحمد والنسائي وابن ماجه وغيرهم من طرق عن عوف ثني زياد بن حصين عن أبي العالية به فأدخل فيه زياد بن حصين وهو ثقة من رجال مسلم وقد صححه ابن خزيمة وابن حبان والحاكم والذهبي والنووي وابن تيمية وهو مخرج في الصحيحة (١٢٨٣)". ظلال الجنة ص: ٤٦-٤٧.

المطلب الثالث

الوسطية في فهم السلف

أثمرت الوسطية في القرآن والسنة جيلا وسطيا فريدا، وهو جيل الصحابة رضي الله عنهم فكانوا قدوة لمن جاء بعدهم من المسلمين عامة، ولتابعيهم بإحسان خاصة، في اعتدال المنهج واستقامة الطريقة وسلامة الفكر والسلوك من الإفراط والتفريط، حيث كان منهجهم معافى من الانحراف في الدين، ومجتمعهم يسوده الأمن والاستقرار، وذلك لما كانوا عليه من الاستقامة والوسطية في العلم والعمل، فقاموا بما توجب عليهم في الدعوة إلى الله ﷻ بما يحفظ الأمة الانحراف إلى أحد الطرفين المذمومين: الإفراط والتفريط(١).

فهؤلاء السلف الصالح من الصحابة وتابعيهم بإحسان هم خير الناس فهما لنصوص الكتاب والسنة، وهم أعلم الخلق بأحكام الشريعة؛ لقرب عهدهم بالوحي، وعلمهم بلغة العرب التي نزل بها، ولما رأوا وعلموا من سنة النبي ﷺ، فإن أجمعوا فالوسطية في إجماعهم، وإن اختلفوا فالوسطية لا تخرج عن أقوالهم(٢).

وقد فهم الصحابة –رضوان الله تعالى عليهم– أن بلوغ الكمال لا يتحقق إلا عن طريق اتباع سنة النبي ﷺ، وأن ذلك ليكون شموليا يجب أن يراعي مختلف الجوانب، فتسابقوا في التأسي به في أقواله وأفعاله، والإنكار على من خالف ذلك(٣). فهم الذين تقلوا الأمر بالاتباع والنهي عن الاعوجاج، فعن جابر بن عبد الله، قال: كنا عند النبي ﷺ فخط خطا، وخط خطين عن يمينه، وخط خطين عن يساره، ثم وضع يده في الخط الأوسط، فقال: «هذا سبيل الله» ثم تلا هذه الآية: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا

(١) ينظر: وسطية العقيدة الإسلامية وأثرها في تحقيق الأمن الفكري، المؤلف: د. أحمد عبد الصمد محمد الأمين، الناشر: مجلة أبحاث، كلية التربية – جامعة الحديدة، العدد ١، المجلد ١١، سنة ٢٠٢٤م، ص: ٣٨٣.
(٢) ينظر: بلوغ الآمال ص: ٧٨.
(٣) ينظر: معالم الوسطية عند الصحابة رضي الله عنهم، المؤلف: د. حاتم بن محمد بوسمة، الناشر: مجلة علوم الشريعة والدراسات الإسلامية، العدد ٧٤، ١٤٤٠ هـ، ص: ١٢٨.

صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ ﴾ [الأنعام: ١٥٣]"(١).

قال في الجامع لأحاكم القرآن: "والصراط: الطريق الذي هو دين الإسلام. ﴿مُسۡتَقِيمٗا﴾ نصب على الحال، ومعناه مستويا قويما لا اعوجاج فيه. فأمر باتباع طريقه الذي طرقه على لسان نبيه محمد ﷺ وشرعه ونهايته الجنة. وتشعبت منه طرق فمن سلك الجادة نجا، ومن خرج إلى تلك الطرق أفضت به إلى النار. قال الله ﷻ: ﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ﴾ أي تميل"(٢).

---

(١) سنده ضعيف، رواه ابن ماجه، افتتاح الكتاب في الإيمان وفضائل الصحابة والعلم، باب اتباع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم (١١)، وأحمد (١٥٢٧٧)، وعبد بن حميد (١١٣٩).
وفي إسناده مجالد بن سعيد، قال ابن حجر: "ليس بالقوي، وقد تغير في آخر عمره". تقريب التهذيب، المؤلف: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)، المحقق: محمد عوامة، الناشر: دار الرشيد – سوريا، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ – ١٩٨٦م، (٦٤٧٨). وبقية رجاله ثقات.
ويشهد له حديث ابن مسعود بنحوه، رواه أحمد (٤١٤٢)، والحاكم (٢٩٣٨)، وقال الحاكم: " حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه"، وقال الذهبي: "صحيح". مستدرك الحاكم ٢/ ٢٦١.
وقال الحاكم عن حديث جابر بعد ذكره حديث ابن مسعد في موضع آخر: "وشاهده لفظا واحدا حديث الشعبي، عن جابر من وجه غير معتمد". المستدرك ٢/ ٣٤٨.
وانظر: تخريج أحاديث الكشاف = تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزمخشري، المؤلف: جمال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف بن محمد الزيلعي (المتوفى: ٧٦٢هـ)، المحقق: عبد الله بن عبد الرحمن السعد، الناشر: دار ابن خزيمة – الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـ، ١/ ٤٤٦.
(٢) الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م، ١٣٧/٧.
وفي إسناده مجالد بن سعيد، قال ابن حجر: "ليس بالقوي، وقد تغير في آخر عمره". تقريب التهذيب، المؤلف: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)، المحقق: محمد عوامة، الناشر: دار الرشيد – سوريا، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ – ١٩٨٦م، (٦٤٧٨). وبقية رجاله ثقات.
ويشهد له حديث ابن مسعود بنحوه، رواه أحمد (٤١٤٢)، والحاكم (٢٩٣٨)، وقال الحاكم: " حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه"، وقال الذهبي: "صحيح". مستدرك الحاكم ٢/ ٢٦١.
وقال الحاكم عن حديث جابر بعد ذكره حديث ابن مسعد في موضع آخر: "وشاهده لفظا واحدا حديث الشعبي، عن جابر من وجه غير معتمد". المستدرك ٢/ ٣٤٨.
وانظر: تخريج أحاديث الكشاف = تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزمخشري، المؤلف: جمال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف بن محمد الزيلعي (المتوفى: ٧٦٢هـ)، المحقق: عبد الله بن عبد الرحمن السعد، الناشر: دار ابن خزيمة – الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـ، ١/ ٤٤٦.

قال ابن القيم: "الصراط المستقيم الذي وصانا باتباعه هو الصراط الذى كان عليه رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وأصحابه، وهو قصد السبيل، وما خرج عنه فهو من السبل الجائرة، وإن قاله من قاله"(١).

والصحابة رضوان الله تعالى عليهم، والذين اتبعوهم بإحسان أولى من يتنزل عليهم قوله ﷻ: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ [البقرة: ١٤٣]، فكان نهجهم رضوان الله ﷻ عليهم وسطا مستقيما، يعملون بمقتضاه، ويدعون إليه، واتخذوا ذلك منهجا في أقوالهم وأفعالهم، ومن ذلك:

ما روي عن علي ﷺ: "خير الناس هذا النمط الأوسط يلحق بهم التالي، ويرجع إليهم الغالي"(٢).

وعن ابن مسعود ﷺ ينهى عن التكلف والتنطع في القراءة، فقال: "سمعت القراءة فوجدناهم متقاربين، اقرءوا ما علمتم، وإياكم والتنطع والاختلاف، فإنما هو كقول أحدهم هلم وتعال وأقبل"(٣).

---

(١) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، المحقق: محمد حامد الفقي، الناشر: مكتبة المعارف، الرياض، المملكة العربية السعودية، ١٣١/١.

وفي إسناده مجالد بن سعيد، قال ابن حجر: "ليس بالقوي، وقد تغير في آخر عمره". تقريب التهذيب، المؤلف: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)، المحقق: محمد عوامة، الناشر: دار الرشيد – سوريا، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ – ١٩٨٦م، (٦٤٧٨). وبقية رجاله ثقات.

ويشهد له حديث ابن مسعود بنحوه، رواه أحمد (٤١٤٢)، والحاكم (٢٩٣٨)، وقال الحاكم: " حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه"، وقال الذهبي: "صحيح". مستدرك الحاكم ٢/ ٢٦١.

وقال الحاكم عن حديث جابر بعد ذكره حديث ابن مسعد في موضع آخر: "وشاهده لفظا واحدا حديث الشعبي، عن جابر من وجه غير معتمد". المستدرك ٢/ ٣٤٨.

وانظر: تخريج أحاديث الكشاف = تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزمخشري، المؤلف: جمال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف بن محمد الزيلعي (المتوفى: ٧٦٢هـ)، المحقق: عبد الله بن عبد الرحمن السعد، الناشر: دار ابن خزيمة – الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـ، ١/ ٤٤٦.

(٢) رواه ابن أبي شيبة (٣٤٤٩٨).

وقال ابن الأثير: "النمط: الطريقة". النهاية في غريب الحديث ١١٩/٥.

(٣) رواه ابن أبي شيبة (٣٠٠٢٨)، والبيهقي (٣٩٩١).

"فهو يحث حثا مؤكدا على ملازمة السنة القويمة التي تنبذ التنطع والتعمق والتشدد والابتعاد في جميع أشكاله ومظاهره، والتنظع هو التعمق والمغالاة في الأمور كلها، والمتنطعون هم المتعمقون المغالون في الأقوال والأعمال، وعن أبي جعفر قال: (كان ابن عمر إذا سمع من رسول الله ﷺ حديثا لم يَعْده ولم يقصر دونه)، فقوله: (لم يَعْده) ترك الإفراط، وقوله: (لم يقصر دونه) ترك التفريط"(١).

كما علموا أن الدين يسر وليس عسرا، وأن الأقرب للحق لا يلزم أن يكون من الشدة في شيء، وهم الذين عملوا من النبي ﷺ أنه كان يختار أيسر الأمرين ما لم يكن إثما، عن عائشة رضي الله عنها، أنها قالت: «ما خير رسول الله ﷺ بين أمرين إلا أخذ أيسرهما، ما لم يكن إثما، فإن كان إثما كان أبعد الناس منه، وما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه إلا أن تنتهك حرمة الله، فينتقم لله بها»(٢).

وذلك عملا بقوله ﷻ: ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ﴾ [البقرة: ١٨٥]، قوله ﷻ: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾﴾ [النساء:٢٨].

وهذا اليسر أمر به النبي ﷺ أصحابه، فعن أبي موسى الأشعري ﷺ النبي ﷺ، بعث معاذا وأبا موسى إلى اليمن قال: «يسرا ولا تعسرا، وبشرا ولا تنفرا، وتطاوعا ولا تختلفا»(٣).

وعن الشعبي قال: "إذا اختلف عليك أمران فانظر أيسرهما فإنه أقرب إلى الحق، إن الله أراد بهذه الأمة اليسر، ولم يرد بهم العسر"(٤).

---

(١) معالم الوسطية عند الصحابة ص: ١٣٧.

(٢) رواه البخاري، كتاب المناقب، باب صفة النبي صلى الله عليه وسلم، (٣٥٦٠)، ومسلم، كتاب الفضائل، باب مباعدته صلى الله عليه وسلم للآثام، (٢٣٢٧).

(٣) رواه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب ما يكره من التنازع والاختلاف في الحرب، وعقوبة من عصى إمامه، (٣٠٣٨)، ومسلم، كتاب الجهاد والسير، باب في الأمر بالتيسير وترك التنفير، (١٧٣٣).

(٤) تفسير ابن أبي حاتم = تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم، المؤلف: أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (المتوفى: ٣٢٧هـ)، المحقق: أسعد محمد الطيب، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثالثة - ١٤١٩هـ، (١٦٥٩).

وهذا عمر ﷺ لما أراد أحدهم أن يتنطع في الدين ويسأل الناس عن متشابه القرآن زجره ومنعه، فعن سليمان بن يسار: أن رجلا يقال له صبيغ قدم المدينة فجعل يسأل عن متشابه القرآن، فأرسل إليه عمر ﷺ وقد أعد له عراجين النخل، فقال: من أنت؟ قال: أنا عبد الله صبيغ، فأخذ عمر عرجونا من تلك العراجين، فضربه وقال: أنا عبد الله عمر، «فجعل له ضربا حتى دمي رأسه،» فقال: يا أمير المؤمنين، حسبك، قد ذهب الذي كنت أجد في رأسي(١).

ثم جاء التابعون لهم بإحسان على نفس النهج الوسطي القويم، جاء في السنن: كتب رجل إلى عمر بن عبد العزيز يسأله عن القدر، فكتب: "أما بعد، أوصيك بتقوى الله، والاقتصاد في أمره، واتباع سنة نبيه ﷺ، وترك ما أحدث المحدثون..، فارض لنفسك ما رضي به القوم لأنفسهم، فإنهم على علم وقفوا..، فما دونهم من مقصر، وما فوقهم من محسر، وقد قصر قوم دونهم فجفوا، وطمح عنهم أقوام فغلوا، وإنهم بين ذلك لعلى هدى مستقيم"(٢).

وعن الحسن قال: "سنتكم – والله الذي لا إله إلا هو بينهما: بين الغالي والجافي، فاصبروا عليها رحمكم الله، فإن أهل السنة كانوا أقل الناس فيما مضى، وهم أقل الناس فيما بقي: الذين لم يذهبوا مع أهل الإتراف في إترافهم، ولا مع أهل البدع في بدعهم، وصبروا على سنتهم حتى لقوا ربهم فكذاكم – إن شاء الله – فكونوا"(٣).

ثم جاء العلماء من بعدهم على نفس النهج الوسطي المعتدل.

قال ابن تيمية: "دين الله وسط بين الغالي فيه، والجافي عنه. والله تعالى ما أمر عباده بأمر إلا اعترض الشيطان فيه بأمرين لا يبالي بأيهما ظفر: إما إفراط فيه وإما تفريط فيه"(٤).

---

(١) رواه الدارمي في سننه (١٤٦) عن سليمان بن يسار، ومن طريق أخرى بلفظ أطول من هذا (١٥٠).
(٢) رواه أبو داود، كتاب السنة، باب لزوم السنة، (٤٦١٢).
(٣) رواه الدارمي (٢٢٢).
(٤) مجموع الفتاوى، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى: ٧٢٨هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، عام النشر: ١٤١٦هـ/١٩٩٥م، ٣/ ٣٨١.

وقال ابن القيم: "وقال بعض السلف: ما أمر الله بأمر إلا وللشيطان فيه نزعتان، إما إلى تفريط، وإما إلى مجاوزة، وهي الإفراط، ولا يبالي بأيهما ظفر: زيادة أو نقصان.

وقال النبي ﷺ لعبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: «يا عبد الله بن عمرو، إن لكل عامل شرة، ولكل شرة فترة. فمن كانت فترته إلى سنة أفلح، ومن كانت فترته إلى بدعة خاب وخسر». قال له ذلك حين أمره بالاقتصاد في العمل؛ فكل الخير في اجتهاد باقتصاد، وإخلاص مقرون بالاتباع"(١).

(١) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، المحقق: محمد المعتصم بالله البغدادي، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦م، ٢/ ١٠٨.

المبحث الثاني
معالم الوسطية في الإسلام
المطلب الأول
وسطية الإسلام في العقائد

وتتجلَّى وسطية الأمة في جميع نواح الشريعة الإسلامية، ومنها مسائل الاعتقاد، فهم وسط فيها بين غال ومفرّط، قال الطبري: "وأرى أن الله تعالى ذكره إنما وصفهم بأنهم وسط لتوسطهم في الدين؛ فلا هم أهل غلوٍّ فيه، غلو النصارى الذين غلوا بالترهب، وقِيلهم في عيسى ما قالوا فيه، ولا هم أهل تقصير فيه تقصير اليهود الذين بدلوا كتاب الله، وقتلوا أنبياءهم، وكذبوا على ربهم وكفروا به؛ ولكنهم أهل توسط واعتدال فيه، فوصفهم الله بذلك، إذ كان أحب الأمور إلى الله أوسطها"(١).

فمن وسطيتهم في أبواب الإيمان، إيمانهم بجميع الرسل والكتب المنزلة؛ كما أخبر الله ﷻ عنهم في كتابه الكريم فقال الله ﷻ: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [البقرة: ٢٨٥]، فلم يؤمنوا ببعض ويكفروا ببعض، بل آمنوا بكل ما جاء من عند الله ﷻ، ورضوا به.

"فالمؤمنون كلُّهم آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله، لا يُفرِّق الكلُّ منهم بين أحدٍ من رسله، فيؤمن ببعض، ويكفر ببعض، ولكنهم يُصدِّقون بجميعهم، ويُقِرُّون أنَّ ما جاؤوا به كان من عند الله، وأنهم دعوا إلى الله، وإلى طاعته، ويُخالفون في فِعلهم ذلك اليهود؛ الذين أقرُّوا بموسى، وكذَّبوا عيسى، والنصارى؛ الذين أقرُّوا بموسى وعيسى، وكذَّبوا بمحمدٍ ﷺ وجحدوا نبوَّته، ومَنْ أشبههم من الأمم؛ الذين كذَّبوا

(١) تفسير الطبري ٦٢٦/٢-٦٢٧.

بعضَ رسلِ الله، وأقرُّوا ببعضهم"(١). فهم بذلك وسط بين الأمم، عدول في شهادتهم، خيار بإيمانهم.

وهذا الذي عملهم إياه النبي ﷺ حين أجاب السائل: ما الإيمان؟، فقال: «الإيمان: أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره»(٢).

وقد نهانا الله ﷻ عن الغلو في الاعتقاد، والحذر من الاقتاد بالسابقين الذين غلوا فيه، قال ﷻ: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ١٧١﴾ [النساء:١٧١].

والمراد عدم مجاوزة الحد في الدين، ومن ذلك أمر عيسى عليه السلام، فنهى سبحانه عن حطه عن منزلته، أو رفعه فوق قدره.

وهم وسط في باب الإيمان بالله تعالى وأسمائه وصفاته، قال شيخ الإسلام: "مذهب سلف الأمة وأئمتها أن يوصف الله بما وصف به نفسه، وبما وصفه به رسوله، من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل، يثبتون لله ما أثبته من الصفات، وينفون عنه مماثلة المخلوقات، يثبتون له صفات الكمال، وينفون عنه ضروب الأمثال، ينزهونه عن النقص والتعطيل، وعن التشبيه والتمثيل، إثبات بلا تشبيه، وتنزيه بلا تعطيل: ﴿فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ جَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا وَمِنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ أَزۡوَٰجٗا يَذۡرَؤُكُمۡ فِيهِۚ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١﴾[سورة الشورى: ١١] رد على المعطلة. ومن جعل صفات الخالق مثل صفات المخلوق فهو المشبه المبطل المذموم"(٣).

---

(١) ينظر: تفسير الطبري، (٥/ ١٥٠).

(٢) جزء من حديث طويل، رواه مسلم كتاب الإيمان، باب معرفة الإيمان، والإسلام، والقدر وعلامة الساعة، (٨).

(٣) منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)،

وهم وسط في باب النبوة بين غالٍ ألّه بعض الأنبياء، وجاف كذّب بعضهم، فلا هم ألهوا رسول الله ﷺ، ولا هم قللوا من شأنه، بل آمنوا بما جاء به، وعملوا بمقتضاه.

فعن ابنِ عَبَّاسٍ η؛ أنه سَمِعَ عُمَرَ η يقولُ – على الْمِنْبَرِ: سَمِعْتُ النبيَّ ﷺ يقول: «لاَ تُطْرُونِي كما أَطْرَتْ النصارى ابن مريم، فإنما أنا عبد، فقولوا: عبدالله ورسوله»(١).

"الإطراء: الإفراط في المدح، والمراد به ها هنا: المدح الباطل. والذين أطروا عيسى عليه السلام ادَّعوا أنه ولدُ الله، تعالى اللهُ عن ذلك علواً كبيراً، واتَّخذوه إلهاً، ولذلك قال: «فقولوا: عبد الله ورسوله»"(٢).

قال شيخ الإسلام: "دين الله تعالى بين الغالي فيه والجافي عنه.

فإن النصارى عظموا الأنبياء حتى عبدوهم، وعبدوا تماثيلهم، واليهود استخفوا بهم حتى قتلوهم، والأمة الوسط عرفوا مقاديرهم؛ فلم يغلوا فيهم غلو النصارى، ولم يجفوا عنهم جفاء اليهود، ولهذا قال ﷺ فيما صح عنه: «لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم، فإنما أنا عبد، فقولوا: عبد الله ورسوله»"(٣).

فهذه الوسطية تشمل جميع أبواب العقائد في الإسلام، إيمانا بما أنزل الله ﷻ، على الطريقة التي تلقوها من النبي صلى الله علي وسلم، بلا مغالاة، ولا تفريط.

المحقق: محمد رشاد سالم، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦م، ٢/ ١١١.

(١) رواه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله: ﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَرۡيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتۡ مِنۡ أَهۡلِهَا مَكَانٗا شَرۡقِيّٗا ١٦ ﴾ [مريم: ١٦]، (٣٤٤٥).

(٢) كشف المشكل من حديث الصحيحين، المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، المحقق: علي حسين البواب، الناشر: دار الوطن – الرياض، ١/ ٦٥.

(٣) اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، المحقق: ناصر عبد الكريم العقل، الناشر: دار عالم الكتب، بيروت، لبنان، الطبعة: السابعة، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م، ٢/١٩٣.

المطلب الثاني

وسطية الإسلام في العبادات

بين مادية اليهود ورهبانية النصارى جاء الإسلام مراعيا مقتضيات الفطرة، والتناسق البديع بين متطلبات الروح والجسد، بلا غلو في التجرد الروحي، ولا إغراق في الارتكاس المادي، فلا رهبانية ولا مادية، بل وسطية واعتدال، كما قال ﷻ: ﴿وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ﴾ [القصص: ٧٧](١).

ومن أبرز ما يظهر الوسطية في العبادات ما جاء عن أَنَسَ بن مَالِكٍ η قال: جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ، يسألون عن عبادة النبي ﷺ، فلما أخبروا كأنهم تقالوها، فقالوا: وأين نحن من النبي ﷺ؟ قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، قال أحدهم: أما أنا فإني أصلي الليل أبدا، وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا، فجاء رسول الله ﷺ إليهم، فقال: «أنتم الذين قلتم كذا وكذا، أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني»(٢).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ç: "والأحاديث الموافقة لهذا كثيرة، في بيان أنَّ سُنَّته؛ التي هي الاقتصاد في العبادة، وفي ترك الشهوات، خيرٌ من رهبانية النصارى؛ التي هي ترك عامة الشهوات من النكاح وغيره، والغلوِ في العبادات صوماً وصلاةً، وقد خالف هذا؛ بالتأويل، ولعدمِ العلم طائفةٌ من الفقهاء والعُبَّاد"(٣).

وقال ابن حجر ç في تعليقه على هذا الحديث: "فيه إشارة إلى رد ما بنوا عليه أمرَهم –من أنَّ المغفور له لا يحتاج إلى مزيدٍ في العبادة–، بخلاف غيره، فأعْلَمَهم

(١) ينظر: بلوغ الآمال ص: ١٢٠.
(٢) رواه البخاري ومسلم، وقد سبق تخريجه في المطلب الثاني من المبحث الأول.
(٣) اقتضاء الصراط المستقيم ١/ ٣٢٥.

أنه مع كونه يُبالغ في التشديد في العبادة أخشى لله، وأتقى من الذين يُشَدِّدون، وإنما كان كذلك؛ لأنَّ المُشدِّد لا يأمن من المَلَل، بخلاف المُقتصد، فإنه أمكن لاستمراره، وخيرُ العملِ ما داوم عليه صاحبُه"(١).

فالرسول ﷺ يبين أن خشية الله عز وجل لا تكون بالإفراط في أعمال والتقصير في أخرى، ولكنها تحصل في الموازنة بين جميع مطالب الله عز وجل وهو عين الوسطية والحكمة والاستقامة والاعتدال. وهو ما قرره القرآن الكريم، فقد قال ﷻ: ﴿وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ﴾ [القصص: ٧٧].

ومن ذلك أيضا ما جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال رسول الله ﷺ: «إياكم والغلو؛ فإنما هلك من كان قبلكم بالغلو في الدين»(٢).

قال ابن تيمية ؒ: "قوله ﷺ: «إياكم والغلو في الدين» عامٌّ في جميع أنواع الغلو؛ في الاعتقادات والأعمال. والغلوُّ: هو مجاوزة الحدِّ، بأنْ يُزاد في حَمْدِ الشيءِ أو ذمِّه على ما يستحق ونحو ذلك..، وسبب هذا اللفظ العام: رمي الجمار، وهو داخلٌ فيه، فالغلو فيه؛ مثل رمي الحجارة الكبار، ونحو ذلك، بناءً على أنه قد بالَغَ في الحصى الصِّغار، ثم علَّلَ ذلك بأنَّ ما أهلك مَنْ كان قبلنا إلاَّ الغلوُّ في الدِّين كما تراه في النصارى، وذلك يقتضي أنَّ مُجانبة هديهم مطلقًا أبعد عن الوقوع فيما به هلكوا، وأنَّ المُشارِك لهم في بعض هديهم يُخاف عليه أنْ يكون هالكًا"(٣).

فلما كان من الوسطية عدم الغلو في العبادة والتشدد فيها، كان أيضا من الوسطية التيسير والتسهيل فيها، وهذه خصوصية الإسلام، ومن ذلك ما جاء في الصحيحين عن جابر ﷺ قال، أن النبي ﷺ قال: «أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي: نصرت

(١) ينظر: فتح الباري ٩/ ١٠٥.
(٢) سبق تخريجه في المطلب الثاني من المبحث الأول، وقد صحح إسناده غير واحد من أهل العلم، منهم الحاكم والذهبي.
(٣) اقتضاء الصراط المستقيم، ص: ١٠٦.

بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا، فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل..»[١].

فأيما مسلم أدركته الصلاة في أي بقعة من بقاع الأرض فليصل فيها ما دامت طاهرة، بلا مشقة ولا تعنت ولا تكلف، فيحين أن غير هذه الأمة ربما يتقيدوا بأماكن وشروط وضوابط تشق على النفس، وقد تخرج أحيانا عن حدود الممكن أو على الأقل عن المتيسر.

وكذلك جاء الأمر بعدم تكليف النفس ما لا تطيق؛ لا يصيبها الملل، فعن عائشة ﵂ قالت: دخل علي رسول الله ﷺ وعندي امرأة فقال: «من هذه؟»، فقلت: فلانة لا تنام من الليل، تذكر من صلاتها قال: «عليكم من العمل ما تطيقون، فوالله لا يمل الله حتى تملوا، وكان أحب الدين إليه ما داوم عليه صاحبه»[٢]، وهذا توجيه نبوي كريم نحو الاعتدال والتوسط.

عن أنس بن مالك ﵁، قال: دخل النبي ﷺ فإذا حبل ممدود بين الساريتين، فقال: «ما هذا الحبل؟» قالوا: هذا حبل لزينب فإذا فترت تعلقت، فقال النبي ﷺ: «لا حلوه ليصل أحدكم نشاطه، فإذا فتر فليقعد»[٣].

فقال في شرح مسلم تعليقا على الحديثين: "فيه دليل على الحث على الاقتصاد في العبادة واجتناب التعمق، وليس الحديث مختصا بالصلاة، بل هو عام في جميع البر، وفي الحديث كمال شفقته -صلى الله عليه وآله وسلم- ورأفته بأمته؛ لأنه أرشدهم إلى ما يصلحهم، وهو ما يمكنهم الدوام عليه بلا مشقة ولا ضرر فتكون النفس أنشط، والقلب منشرح فتتم العبادة، بخلاف من تعاطى من العبادة ما يشق

(١) رواه البخاري في أول كتاب التيمم (٣٣٥)، ومسلم في أول كتاب المساجد ومواضع الصلاة، (٥٢١).
(٢) رواه البخاري، كتاب الإيمان، باب: أحب الدين إلى الله عز وجل أدومه (٤٣)، ومسلم، كتاب صلاة المسافرين، باب أمر من نعس في صلاته أو استعجم عليه القرآن، (٧٨٥).
(٣) رواه البخاري، كتاب الجهاد، باب (١١٥٠)، ومسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب أمر من نعس في صلاته، (٧٨٤).

عليه فإنه بصدد أن يتركه أو بعضه أو يفعله بكلفة وبغير انشراح القلب فيفوته خير عظيم"[١].

فقد تميزت الشريعة الإسلامية في توضيحها لمفهوم العبادة عن كل الشرائع السماوية، فجاءت بمفهوم معتدل تجسدت فيه كل ملامح الوسطية، وابتعدت فيه عن الإفراط والتفريط؛ فلا هم قوم تمسكوا بالحياة الدنيا ورضوا بها فكانوا أحرص الناس على حياة، ولا هم ترهبنوا وانقطعوا عنها.

أما في شريعتنا الإسلامية فقد غاب عنها الإفراط والتفريط في تقريرها لمنهج العبادة؛ فكان منهجها منهجا فريدا في توازنه ووسطيته واعتداله وشموله وواقعيته وكماله.

فعن طلحة بن عبيد الله، يقول: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ من أهل نجد ثائر الرأس، يسمع دوي صوته ولا يفقه ما يقول، حتى دنا، فإذا هو يسأل عن الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: «خمس صلوات في اليوم والليلة». فقال: هل علي غيرها؟ قال: «لا، إلا أن تطوع». قال رسول الله ﷺ: «وصيام رمضان». قال: هل علي غيره؟ قال: «لا، إلا أن تطوع». قال: وذكر له رسول الله ﷺ الزكاة، قال: هل علي غيرها؟ قال: «لا، إلا أن تطوع». قال: فأدبر الرجل وهو يقول: والله لا أزيد على هذا ولا أنقص، قال رسول الله ﷺ: «أفلح إن صدق»[٢].

وهذه الشواهد وغيرها في السنة النبوية الغراء تدل على أن الشريعة الإسلامية نأت عن التفريط في أركان العبادة، ودعت لأن تكون هذه العبادة خالصة لله سبحانه.

---

(١) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج = شرح النووي على مسلم، المؤلف: أبو زكريا محيي الدين يحيى ابن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثانية، ١٣٩٢هـ، ٧١/٦.

(٢) رواه البخاري، كتاب الإيمان، باب: الزكاة من الإسلام، (٤٦)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب بيان الصلوات التي هي أحد أركان الإسلام، (١١).

ومن جانب آخر نجد أن النبي ﷺ يحث الناس على عدم الإفراط في العبادة بشكل خارج عن المعتاد الديني والدنيوي لما في ذلك من تفريط في حقوق أخرى(١).

وهذا، وبالنظر لكثير من العبادات وما شرع من التخفيف فيها يصبح أمر تسير العبادة جليلا لكل أحد بأقل نظر في عموم الشريعة، ففي الصيام مثلا شرع الإفطار للمريض والمسافر وصاحب العذر، ثم الأداء متى تيسير واستطاع، وفي الحج؛ لا يُكلّف به إلا من استطاع إليه سبيلا وشرعت الكفارات فيه عند عدم التمكن من بعض مناسكه وشرع التخفيف على للضعاف وأصحاب الأعذار كذلك، وفي الوضوء والطهارة شرع التيمم لمن لا يجد الماء أو غير القادر على استعماله، وشرع المسح على الخفاف والعمائم تخفيفا وتيسيرا، وهكذا لا تحصى أمثلة تيسير العبادة في الإسلام وتيسيرها، فلا مشقة ولا تعسير، مع إيجاب الإخلاص والاتباع، وهذا من الوسطية الموسومة بها الأمة.

(١) ينظر: دور الوسطية في تعزيز الوحدة الوطنية، ص٣٦٥-٣٦٦.

المطلب الثالث

وسطية الإسلام في المعاملات

من معالم الوسطية في الإسلام وسطيته في المعاملات بشتى أنوعها، سواء كانت العقود أو الأنكحة، أو الأحكام والأقضية، أو غيرها مما يتعامل فيه الناس، وجعلت مقاصد الشريعة في جملتها لحفظ: النفس والدين والعقل والمال والعرض.

فتقوم المعاملات في الإسلام على قواعد وضوابط شرعية، مقصدها مصلحة الفرد والمجتمع، فالمعاملات في الإسلام قائمة على قواعد وضوابط وسط، لا إفراط فيها ولا تفريط، وليست متروكة لأحد من البشر يكيّفها كما يهوى، بل وضعها أحكم الحاكمين، ليلتزم بها عامة المسلمين.

فمن ذلك أن حرّم الشارع الحكيم الربا بأنواعه على الفرد والجماعة، وبين المسلمين أنفسهم، وبينهم وبين غيرهم، وفي المقابل أحل ما يمكن به اكتساب المال مما فيه مصلحة الناس، قال ﷻ: ﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰا۟﴾ [البقرة: ٢٧٥][1].

فالإسلام لم يحرّم كل وجه لاكتساب الأموال، ولا أباح كل وجه، بل أحل ما فيه المصلحة، وحرّم ما فيه المفسدة.

هذا، ويمكننا القول أن الشريعة جاءت بالعدل والتيسير والرحمة في المعاملات، وبدفع أسباب التشاحن والتباغض، وربط أفراد المجتمع برباط المحبة والتعاون على البر والتقوى، وهذا ما تحدثنا به سيرة النبي ﷺ حين قدم المدينة، وفيها من صور المعاملات الكثير من البيع، والشراء، والتعامل بالمزارعة، والمساقاة، والمضاربة، والسلم، والقرض، والرهن والهبة، والعمرى وغير ذلك، فكان موقف التشريع الإسلامي موقف الناقد المهذِّب المرشد للحق، فقبل ما يحقق مصالح الناس بغير جور، وما كان فيه ضرر أو جور أو مفسدة منعها، وخلص بعض المعاملات مما

(١) ينظر: بلوغ الآمال ص: ١٢٣.

يشوبها، وتجاوز في غيرها مما يصلح مع التجاوز، ومنع ما لا يصلح، هذا مع التيسير على الناس وتقدير حاجاتهم(١).

وفي بيان شيء من ذلك يقول ابن القيم: "الأصل في العقود أن تعقد على أي صفة كانت فيها المصلحة، والمصلحة قد تكون في هذا وهذا.

وللعاقد أن يعقد العقد لازما من الطرفين، وله أن يعقده جائزا يمكن فسخه إذا لم يمنع من ذلك مانع شرعي"(٢).

وقال في موضع آخر: "فالأصل في العبادات البطلان حتى يقوم دليل على الأمر، والأصل في العقود والمعاملات الصحة حتى يقوم دليل على البطلان والتحريم.

والفرق بينهما أن الله – سبحانه – لا يعبد إلا بما شرعه على ألسنة رسله، فإن العبادة حقه على عباده، وحقه الذي أحقه هو ورضي به وشرعه، وأما العقود والشروط والمعاملات فهي عفو حتى يحرمها"(٣).

هذا، وقد عقد البخاري ؏ بابا عنون له: "باب السهولة والسماحة في الشراء والبيع، ومن طلب حقا فليطلبه في عفاف"، ثم أخرج فيه عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ، قال: «رحم الله رجلا سمحا إذا باع، وإذا اشترى، وإذا اقتضى»(٤).

---

(١) وسطية الإسلام، المؤلف: الشيخ محمد محمد المدني، دراسة وتقديم وتعليق د. محمد عمارة، دار البشير للثقافة والعلوم، مصر، الطبعة الأولى، ١٤٣٧هـ-٢٠١٦م، ص: ١٢٧-١٢٩.

(٢) أحكام أهل الذمة، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، المحقق: يوسف بن أحمد البكري - شاكر بن توفيق العاروري، الناشر: رمادى للنشر – الدمام، الطبعة: الأولى، ١٤١٨ – ١٩٩٧م، ٨٧٦/٢.

(٣) إعلام الموقعين عن رب العالمين، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب المعروف بابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١ هـ)، قدم له وعلق عليه وخرج أحاديثه وآثاره: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، شارك في التخريج: أبو عمر أحمد عبد الله أحمد، الناشر: دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ، ١٠٧/٣.

(٤) رواه البخاري، كتاب البيوع، باب السهولة والسماحة في الشراء والبيع، ومن طلب حقا فليطلبه في عفاف، (٢٠٧٦)

وفي ذلك من الوسطية والتيسير والسهولة على الناس في معاملاتهم وعقودهم الشيء الكثير.

وفي جانب جمع المال وإنفاقه، نجد الإسلام يوازن بين حب الإنسان الفطري للمال وعدم مجاوزة الحد في ذلك، فيبح له جمعه بما أحله الله، ونفقته فيما يرضيه، وكما يحرّم جمعه ونفقته في الحرام، قال ﷻ: ﴿وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾﴾ [الفجر: ٢٠]، وقال أيضا: ﴿وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴿٨﴾﴾ [العاديات: ٨]، فأحل الله تعالى للمسلم طرق جمع المال الحال بالبيع والتجارة والزراعة والصناعة ونحوها بما شرع له منها، ثم وجهه لنفقته في الحلال وإعطاء كل ذي حق حقه، مع عدم نسيان حظ نفسه، قال ﷻ: ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ﴾ [القصص: ٧٧]، وقال ﷻ: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾﴾ [الإسراء: ٢٩].

وفي هذا ووسطية واعتدال توازن شامل يجمع بين مراعاة الفطرة التي جُبل عليها الإنسان، وحظ نفسه، وبين الادخار والإنفاق، وغيرها من أوجه الاعتدال والتوسط في هذا الباب.

وفي باب الأقضية أيضا نجد الوسطية واضحة جلية كذلك، ومن ذلك قوله ﷻ: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾﴾ [سورة النحل: ١٢٦] فأجاز سبحانه القصاص بالمثل، وحث على العفو الصفح.

وفي جانب علاقات المسلمين فيما بينهم نجد وسطية الإسلام واضحة جلية، وذلك في الأمر بحسن الخلق والوفاء بالوعود والعهود، وبذل الإحسان مع مراعاة الحقوق والواجبات في جميع ذلك، ففي الأنكحة مثلا جاءت الشريعة الإسلامية بالوسطية فيه؛ وذلك بمراعاتها مصالح العباد في التشريع والفطرة وتحقيق التوازن بينهما؛ فلا دعا إلى الرهبانية والتبتل ومحاربة الفطرة، ولا إلا استحلال الأعراض بلا ضبط.

فكما حُرّم الزنا أشد تحريم، جعله النبي ﷺ الزواج من سُنَّته المباركة، وأنكر على أراد ترك النكاح، قائلًا له: «أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني»(١).

وفي شأن المعاملة بين الزوجين جاء الأمر بالعشرة بالمعروف، قال ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرۡهٗاۖ وَلَا تَعۡضُلُوهُنَّ لِتَذۡهَبُواْ بِبَعۡضِ مَآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ إِلَّآ أَن يَأۡتِينَ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖۚ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ فَإِن كَرِهۡتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَيَجۡعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيۡرٗا كَثِيرٗا ١٩﴾ [النساء: ١٩]، وكذلك العدل في الحقوق والواجبات، قال ﷻ: ﴿وَلَهُنَّ مِثۡلُ ٱلَّذِي عَلَيۡهِنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ﴾ [البقرة: ٢٢٨].

فإن لم تكن مودة ورحمة بينهما، واستحالة العشرة، شرع الطلاق، ومع كونه فراق بين الزوجين تتجلى الوسطية فيه؛ ففيه استيعاب لأحوال الرجال والنساء ومصالحهم على حدٍّ سواء، فشأن الزواج محصور بين حالين: ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖۗ﴾ [البقرة: ٢٢٩]، فحتى الطلاق في الوسطية الإسلامية لا يكون إلا بإحسان.

"فإن قيل لم جوز للرجال الطلاق مع ما فيه من كسر النساء وأذيتهن؟ لأن الرجل قد يكره المرأة ويسوءها لسوء أخلاقها أو لدمامة خلقها أو لسبب من الأسباب، فلو ألزم بإمساكها فيما بقي من عمره بحيث لا يقدر على دفع ذلك الضرر لعظم الإضرار بالرجال. فإن قيل: فهلا شرع الطلاق مرة واحدة كي لا يتكرر على النساء كسر الطلاق مع ما فيه من شدة البلاء وشماتة الأعداء؟ قلنا: لو جوز الشرع الطلاق من غير حصر لعظم الإضرار بالنساء، ولو قصر على مرة واحدة لتضرر الرجال، فإن الندم يلحق المطلق بعد انقضاء العدة في كثير من الأحوال فقصر

(١) متفق عليه، وقد سبق تخريجه.

الطلاق على الثلاث لأن الثلاث قد عرفت في مواطن الشريعة كإحداد النساء على الموتى والتهاجر بين أهل الإسلام"[١].

"فإذا كان أهل السنة وسطاً في باب الاعتقاد، فكذلك هم وسط في باب السلوك بين طرفي الإفراط والتفريط، فدين الله بين الغالي فيه والجافي عنه"[٢].

هذا، وقد عقد شيخ الإسلام ç في كتابه الجواب الصحيح فصلا عنون له بـــ "فصل: توسط المسلمين واعتدالهم في التوحيد والعبادات والمعاملات"[٣] وأطال فيه النفس وأبان ما للإسلام من فضل وتوسط في ذلك على غيره من الأديان، وأكثر فيه الكلام فأجاد وأفاد، ثم قال بعد ما ذكر من ذلك كله الشيء الكثير: "والتوسط في جميع ذلك بين الإفراط والتفريط هو العدل"[٤].

فهذا غيض من فيض في جانب وسطية الإسلام في المعاملات، ولا حصر ذلك لا يحصى، فلله الحمد المنة.

(١) ينظر: قواعد الأحكام في مصالح الأنام، المؤلف: أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي، الملقب بسلطان العلماء (المتوفى: ٦٦٠هـ)، راجعه وعلق عليه: طه عبد الرؤوف سعد، الناشر: مكتبة الكليات الأزهرية – القاهرة، (وصورتها دور عدة مثل: دار الكتب العلمية - بيروت، ودار أم القرى - القاهرة)، طبعة: جديدة مضبوطة منقحة، ١٤١٤ هـ - ١٩٩١ م، ١/ ٢٤٧.

(٢) معالم في السلوك وتزكية النفوس، المؤلف: عبد العزيز بن محمد بن علي آل عبد اللطيف، الناشر: دار الوطن، الطبعة: الأولى ١٤١٤هـ، ص: ٢٣.

(٣) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، تحقيق: علي بن حسن - عبد العزيز بن إبراهيم - حمدان بن محمد، الناشر: دار العاصمة، السعودية، الطبعة: الثانية، ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م، ٢٢/٦ وما بعدها.

(٤) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ٢٦/٦.

المبحث الثالث

تعزيز الوسطية في المجتمع المسلم

المطلب الأول

سبل تعزيز الوسطية في المجتمع المسلم

لما كان الإسلام دين الوسطية والاعتدال، وأنه جاء يدعو إلى اليسر والتوسط ورفع الحرج في عمومه؛ سواء في العقائد أو العبادات أو السلوك والمعاملات، فهنا يمكننا القول إجمالا أن كل ما يدعوا إلى فهم الإسلام فهما صحيحا وسطيا، ويدعوا إلى العمل به كما أُنزل من عند الله ﷻ، فذلك يعد من سبل تعزيز الوسطية إجمالا.

ومنهج الإسلام في تحقيق ذلك هو أيضا منهج وسط قويم لا اعوجاج فيه بإفراط أو تفريط، فمن سار على منهجه حقق المبتغى منه ببلوغ الوسطية والاعتدال.

وتبرز سبل تحقيق الوسطية من خلال المنهج الإسلامي الوسطي ذاته، وذلك من خلال الأسس التي جعلها الشارع الحكيم أعمدة ومرتكزات في دين الوسطية، وهي:

أولا: الاعتصام بالكتاب والسنة:

لا شك أن الإنسان ليصل إلى غايته هو بحاجة إلى السير إليها على الطريق المستقيم الموصل إلى غايته، والنهج القويم الذي لا انحراف فيه عنها، والنور الذي يهتدي به في مسيره، ليصل إلى الغاية المنشودة، والجائزة المرغوبة، ولا صراط أهدى، ولا نور أبقى، ولا أدل لذلك من كتاب الله ﷻ وسنة نبيه ﷺ.

وقد جاء الأمر الإلاهي بالاعتصام بالكتاب والنهي عن التفرق دونه، بما لا يدع مجالا للشك في ذلك، قال ﷻ: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ﴾ [آل عمران: ١٠٣].

فقوله ﷻ: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ﴾ أي استمسكوا[١].

(١) معاني القرآن وإعرابه، المؤلف: إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (المتوفى: ٣١١هـ)، المحقق: عبد الجليل عبده شلبي، الناشر: عالم الكتب – بيروت، الطبعة: الأولى ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨م، ١/ ٤٥٠.

وقوله ﷻ: ﴿بِحَبْلِ ٱللَّهِ﴾ فيها عدة أقوال يمكن ردها لبعضها، "فأما الحبل، ففيه ستة أقوال: أحدها: أنه كتاب الله: القرآن. والثاني: أنه الجماعة. والثالث: أنه دين الله، وهو الإسلام. والرابع: عهد الله. والخامس: أنه الإخلاص، قاله أبو العالية. والسادس: أنه أمر الله وطاعته"(١).

ويمكن ردها لبعضها بحيث أن التمسك بكتاب الله ﷻ هو لزوم للجماعة، وتمسك بدين الإسلام، وقيام بعهد الله وإخلاص وطاعة له ﷻ، إذ التمسك بكتاب الله ﷻ يحقق تلك المعاني جميعها.

كما جاء الأمر الإلاهي أيضا بالاقتداء بالنبي ﷺ، واتباعه، وإتيان ما أمر، واجتناب ما نهى عنه ﷺ، قال ﷻ: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب: ٢١]، وقال ﷻ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران: ٣١]، وقال ﷻ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ﴾ [الحشر: ٧].

كما جاء كتاب الله بالتحذير عن مخالفة أمره ومعصيته، قال ﷻ: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ [النور: ٦٣]، وقال ﷻ: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾﴾ [النساء: ١٤].

وفي الصحيح سئل عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنهما هل كان النبي ﷺ أوصى؟ فقال: لا، فقلت: كيف كتب على الناس الوصية أو أمروا بالوصية؟ قال: «أوصى بكتاب الله»(٢).

---

(١) زاد المسير ٣١١/١ باختصار.

(٢) رواه البخاري، كتاب الوصايا، باب الوصايا وقول النبي ﷺ: «وصية الرجل مكتوبة عنده» (٢٧٤٠)، ومسلم، كتاب الوصية، باب ترك الوصية لمن ليس له شيء يوصي فيه، (١٦٣٤).

قال ابن حجر: "وقول بن أبي أوفى: (أوصى بكتاب الله) أي بالتمسك به والعمل بمقتضاه، ولعله أشار لقوله ﷺ: «تركت فيكم ما إن تمسكتم به لم تضلوا كتاب الله»"(١).

وعن أبي هريرة ﷺ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «ما نهيتكم عنه، فاجتنبوه وما أمرتكم به فافعلوا منه ما استطعتم، فإنما أهلك الذين من قبلكم كثرة مسائلهم، واختلافهم على أنبيائهم»(٢).

وهكذا جاء الأمر بالتمسك بالكتاب والسنة، واتباع أمر الرسول ﷺ، واجتناب نهيه، والتحذير من مخالفته، وأن الشر كل الشر ومنبع الانحراف في مخالفة ذلك، وأن الوسطية هي التمسك بالكتاب والسنة والعمل بمقتضى ذلك لما فيهما من اليسر والسماحة والسلامة والأمن، وأن مخالفتهما تؤدي لنقيض ذلك كله.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ؒ: "وكل من دعا إلى شيء من الدين بلا أصل من كتاب الله وسنة رسوله فقد دعا إلى بدعة وضلالة، والإنسان في نظره مع نفسه ومناظرته لغيره إذا اعتصم بالكتاب والسنة هداه الله إلى صراطه المستقيم، فإن الشريعة مثل سفينة نوح عليه السلام، من ركبها نجا، ومن تخلف عنها غرق، وقد قال ﷻ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ۚ﴾ [الأنعام: ١٣٥]، وقال ﷻ: ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ ۗ﴾ [الأعراف: ٣].

وكان النبي ﷺ يقول في خطبته: «إن أصدق الكلام كلام الله،، وخير الهدى هدى محمد، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة».

وقال ﷺ في الحديث الصحيح الذي رواه مسلم في سياق حجة الوداع: «إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا: كتاب الله تعالى»"(١).

---

(١) فتح الباري ٣٦١/٥.

(٢) رواه مسلم، كتاب الفضائل، باب توقيره صلى الله عليه وسلم، وترك إكثار سؤاله عما لا ضرورة إليه، أو لا يتعلق به تكليف وما لا يقع، ونحو ذلك، (١٣٣٧).

ثانيا: التمسك بمنهج السلف الصالح:

يراد بالسلف الصالح: جمهور أصحاب القرون المفضلة من الصحابة والتابعين وتابعي التابعين، وهو قول جماهير العلماء قديما وحديثا(٢).

وذلك لما روي عن عمران بن حصين رضي الله عنهما، قال: قال النبي ﷺ: «خيركم قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم» – قال عمران: لا أدري أذكر النبي ﷺ بعد قرنين أو ثلاثة(٣).

وعن ابن مسعود ﷺ من غير شك، قال عن عبد الله ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يجيء أقوام تسبق شهادة أحدهم يمينه، ويمينه شهادته»(٤).

وعن أبي سعيد الخدري، عن النبي ﷺ، قال: «يأتي على الناس زمان، يغزو فئام من الناس، فيقال لهم: فيكم من رأى رسول الله ﷺ؟ فيقولون: نعم، فيفتح لهم، ثم يغزو فئام من الناس، فيقال لهم: فيكم من رأى من صحب رسول الله ﷺ؟ فيقولون: نعم، فيفتح لهم، ثم يغزو فئام من الناس، فيقال لهم: هل فيكم من رأى من صحب من صحب رسول الله ﷺ؟ فيقولون: نعم فيفتح لهم»(٥).

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله ابن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، تحقيق: الدكتور محمد رشاد سالم، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثانية، ١٤١١ هـ - ١٩٩١م، ٢٣٥/١.

(٢) ينظر: لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية، المؤلف: شمس الدين، أبو العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي (المتوفى: ١١٨٨هـ)، الناشر: مؤسسة الخافقين ومكتبتها – دمشق، الطبعة: الثانية - ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢م، ٢٠/١، كما نص على ذلك الشوكاني في عدة مواضع من كتابه، التحف في مَذَاهِب السّلف، المؤلف: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ)، المحقق: سيد عاصم علي، الناشر: دار الصحابة للتراث للنشر والتحقيق والتوزيع، طنطا – مصر، الطبعة: الأولى، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩م، ص: ٢٣ وغيرها.

(٣) رواه البخاري، كتاب الشهادات، باب: لا يشهد على شهادة جور إذا أشهد، (٢٦٥١)، ومسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم (٢٥٣٥).

(٤) رواه البخاري، كتاب الشهادات، باب: لا يشهد على شهادة جور إذا أشهد، (٢٦٥٢)، ومسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم (٢٥٣٣).

(٥) رواه البخاري، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، (٣٥٩٤)، ومسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم (٢٥٣٢).

ومن المعلوم أن نصوص الشريعة في مجملها واضحة محكمة، إلا أن حكمة الله ﷻ اقتضت اختلاف الأفهام والأحوال، كما أنه نزل من القرآن مع الآيات المحكمات أخر متشابها، قال ﷻ: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ﴾ [آل عمران: ٧]، والاختلاف سنة كونية، فكان لزاما الرجوع لفهم السلف الصالح ضمانا للسلامة والتوسط والاعتدال.

فاتباع سبيل السلف الصالح من أعظم طرق تعزيز الوسطية، وذلك أن سبيلهم محمود، فسبيل أصحاب رسول الله ﷺ أول ما يتنزل عليه قوله ﷻ: ﴿ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[النساء: ١١٥] من قوله: ﴿ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ ﴾ [النساء: ١١٥]، فاتباع سبيلهم هو صمام الأمان للسلامة والنجاة والوسطية والاعتدال.

"فلم نجد في كتاب الله ﷻ وسنة رسوله وآثار صحابته إلا الحث على الاتباع، وذم التكلف والاختراع، فمن اقتصر على هذه الآثار كان من المتبعين، وكان أولاهم بهذا الاسم، وأحقهم بهذا الوسم، وأخصهم بهذا الرسم أصحاب الحديث –يعني من الصحابة–؛ لاختصاصهم برسول الله ﷺ واتباعهم لقوله، وطول ملازمتهم له، وتحملهم علمه، وحفظهم أنفاسه وأفعاله، فأخذوا الإسلام عنه مباشرة، وشرائعه مشاهدة، وأحكامه معاينة، من غير واسطة ولا سفير بينهم وبينه واصلة. فجاولوها عيانا، وحفظوا عنه شفاها، وتلقنوه من فيه رطبا، وتلقنوه من لسانه عذبا، واعتقدوا جميع ذلك حقا، وأخلصوا بذلك من قلوبهم يقينا"(١).

وذكر ابن تيمية ç على أن تمسك أهل السنة بما كان عليه السابقون الأولون من أسباب وسطية أهل السنة وصحة معتقدهم، فقال: "وكذلك في سائر أبواب السنة هم

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، المؤلف: أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري الرازي اللالكائي (المتوفى: ٤١٨هـ)، تحقيق: أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي، الناشر: دار طيبة – السعودية، الطبعة: الثامنة، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٣م، ٢٣/١.

وسط؛ لأنهم متمسكون بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ. وما اتفق عليه السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان"[١].

"وإذا تأمل اللبيب الفاضل هذه الأمور تبين له أن مذهب السلف والأئمة في غاية الاستقامة والسداد والصحة والاطراد وأنه مقتضى المعقول الصريح والمنقول الصحيح وأن من خالفه كان مع تناقض قوله المختلف الذي يؤفك عنه من أفك خارجا عن موجب العقل والسمع مخالفا للفطرة والسمع والله يتم نعمته علينا وعلى سائر إخواننا المسلمين المؤمنين ويجمع لنا ولهم خير الدنيا والآخرة"[٢].

لهذا جمع المصنفون كل ما استطاعوا من آثار الصحابة والتابعين من أقوال وأفعال وأفهام، في شتى أبواب الدين ليَأْتمّ بها من بعدهم من تابعيهم بإحسان علما وعملا وفهما.

ثالثا: الاهتمام بالعلم الشرعي الصحيح وتلقيه من مصادره الموثوقة:

لم يؤمر النبي ﷺ بطلب الزيادة من شيء إلا العلم، قال ﷻ: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤]، وذلك لما للعلم من شرف وأهمية، فهو السبيل إلى معرفة الإسلام الوسطي، والعمل به، وفي المقابل الجهل مذموم ويؤدي إلى التشدد والتعنت كما وقع ممن ظنوا أن الشدة أفضل من الاعتدال، فزعم أحدهم أن يصوم فلا يفطر، وآخر يقوم ولا ينام، وثالثا لا يتزوج النساء، ظننا منهم أن هذا هو الحق والمبتغى بجهل، فجاءهم النبي ﷺ بالعلم الحق الذي يتضمن الوسطية والاعتدال، بأنه ﷺ يصوم ويفطر، ويقوم وينام، ويتزوج النساء[٣].

فظنُ الجاهلِ غالبا أن التشدد هو الأقرب للأجر، والتعنت هو الحق، وذلك حيث جهل الحق، فإذا علم وتعلم تبين له أن التوسط واليسر وإعطاء كل ذي حق حقه بما

(١) مجموع الفتاوى ٣/٣٧٥.
(٢) مجموع الفتاوى ٥/٢١٢-٢١٣.
(٣) سبق ذكر الحديث الدال على ذلك، وهو متفق عليه.

ذلك حظ النفس وحقها هو الأقرب للتقوى والاعتدال، وأَعْون للمسلم على أمر دينه ودنياه.

لذلك يقول النووي ç بعد ما نقل جملة من أقوال السلف في فضل العلم:

"والحاصل أنهم متفقون على أن الاشتغال بالعلم أفضل من الاشتغال بنوافل الصوم والصلاة والتسبيح ونحو ذلك من نوافل عبادات البدن: ومن دلائله سوى ما سبق أن نفع العلم يعم صاحبه والمسلمين والنوافل المذكورة مختصة به ولأن العلم مصحح فغيره من العبادات مفتقر إليه ولا ينعكس"(١).

فعلم الكتاب والسنة على الوجه الصحيح من أجل النعم على العبد وأعظمها نفعا له؛ إذ الوسطية لا يمكن الوصول إليها إلا بهذا العلم الصحيح، ولا يكون ذلك إلا بتعلمه بالشكل الصحيح، وتلقيه من مصادره الموثوقة، وهم العلماء الربانيون العالمون العاملون، قال: ﴿وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾﴾[آل عمران: ٧٩]، وقال :﴿ۖ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [النحل: ٤٣]، وقال:﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ﴾ [النساء: ٨٣] فهم العالمون بالإسلام ووسطيته، والداعون إلى ذلك بحكمة.

رابعا: لزوم حسن الخلق والتأسي الحقيقي بهدي النبي ﷺ في ذلك:

حسن الخلق من أعظم ثمار التمسك بدين الله ﷻ، وقد مدح الله ﷻ نبيه ﷺ ووصفه بكونه على خلق عظيم، قال ﷻ:﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [القلم: ٤]، وقال ﷻ في آية أخرى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١]، فوجب التأسي به واتباع هديه، حيث كان هديه ﷺ وسطا سمحا ميسورا، فما خير بين أمرين إلا اختار ايسرهما ما لم يكن إثما.

(١) المجموع شرح المهذب مع تكملة السبكي والمطيعي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، دار الفكر، ٢١/١.

فعن عائشة رضي الله عنها، قالت: "ما خُيِّر النبي ﷺ بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يأثم، فإذا كان الإثم كان أبعدهما منه، واللهِ ما انتقم لنفسه في شيء يؤتى إليه قط، حتى تنتهك حرمات الله، فينتقم لله"(١).

ولم يكن صلى الله وسلم شديدا متعنتا ولا فاحشا، وإنما كان أحسن الناس خلقا.

فعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، قال: "لم يكن النبي ﷺ فاحشا ولا متفحشا، وكان يقول: «إن من خياركم أحسنكم أخلاقا»(٢).

وعن النواس بن سمعان الأنصاري، قال: سألت رسول الله ﷺ، عن البر والإثم فقال: «البر حسن الخلق، والإثم ما حاك في صدرك، وكرهت أن يطلع عليه الناس»(٣).

وكان ﷺ سمحا في معاملته، فعن أنس ﷺ قال: "خدمت النبي ﷺ عشر سنين، فما قال لي: أف، ولا: لم صنعت؟ ولا: ألا صنعت"(٤).

ففي ذلك كله وغيره من السماحة واليسر والتوسط وحسن الخلق ما يعزز الوسطية في المجتمع المسلم إذا قام أهله بذلك وتحلوا به.

خامسا: نبذ الفُرقة، ولزوم الجماعة، وطاعة ولاة الأمر:

سلف أن الإسلام دين الوسطية والاعتدال، وأن كل ما يدعو إليه الإسلام هو في ذاته مدعاة إلى التوسط، ومن أصول هذا الدين نبذ الفُرقة، لزوم الجماعة، وطاعة ولاة الأمر؛ إذ لا وسطية في التفرق والاختلاف والمنابذة، ولا في الخروج على ولاة الأمور.

قال في الطحاوية: "ونرى الجماعة حقا وصوابا، والفرقة زيغا وعذابا"(١).

---

(١) رواه البخاري، كتاب الحدود، باب إقامة الحدود والانتقام لحرمات الله (٦٧٨٦).
(٢) رواه البخاري، كتاب المناقب، باب صفة النبي ﷺ، (٣٥٥٩)، ومسلم، كتاب الفضائل، باب كثرة حيائه ﷺ، (٢٣٢١).
(٣) رواه مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، (٢٥٥٣).
(٤) رواه البخاري، كتاب الأدب، باب حسن الخلق والسخاء، وما يكره من البخل، (٦٠٣٨)، مسلم في الفضائل باب كان رسول الله ﷺأحسن الناس خلقا (٢٣٠٩).

وقال ابن حجر معلقا على تبويب البخاري: باب ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: ١٤٣]، قال: "قال ابن بطال: مراد الباب الحض على الاعتصام بالجماعة؛ لقوله ﴿لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ [البقرة: ١٤٣]،وشرط قبول الشهادة العدالة، وقد ثبتت لهم هذه الصفة بقوله: ﴿وَسَطًا﴾، والوسط العدل،والمراد بالجماعة أهل الحل والعقد من كل عصر"(٢).

والطاعة مقيدة بكونها في المعروف، فقد روى الإمامان البخاري ومسلم حديث علي رضي الله عنه، وبوب له البخاري: باب السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصية، وبُوِّب له عند مسلم بـــ: باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية، وتحريمها في المعصية، وذكرا فيه عن علي رضي الله عنه، قال: بعث النبي ﷺ سرية، وأمر عليهم رجلا من الأنصار، وأمرهم أن يطيعوه، فغضب عليهم، وقال: أليس قد أمر النبي ﷺ أن تطيعوني؟ قالوا: بلى، قال: قد عزمت عليكم لما جمعتم حطبا، وأوقدتم نارا، ثم دخلتم فيها فجمعوا حطبا، فأوقدوا نارا، فلما هموا بالدخول، فقام ينظر بعضهم إلى بعض، قال بعضهم: إنما تبعنا النبي ﷺ فرارا من النار أفندخلها؟ فبينما هم كذلك، إذ خمدت النار، وسكن غضبه، فذكر للنبي ﷺ، فقال: «لو دخلوها ما خرجوا منها أبدا، إنما الطاعة في المعروف»(٣).

فالسمع والطاعة أدعى للاجتماع ونبذ الفرقة، وهما أدعى للمودة والتراحم بين المسلمين، والذين هما من أهم أعمدة تعزيز الوسطية والاعتدال في المجتمع المسلم.

سادسا: الدعوة إلى الله ﷻ:

وهي متضمنة للدعوة إلى جميع ما سبق، وحث الناس عليه، بحيث يقوم أهل العلم والحق والدعاة المصلحون إلى دعوة أفراد المجتمع المسلم إلى الاعتصام

(١) شرح العقيدة الطحاوية، المؤلف: صدر الدين محمد بن علاء الدين عليّ بن محمد ابن أبي العز الحنفي، الأذرعي الصالحي الدمشقي (المتوفى: ٧٩٢هـ)، تحقيق: أحمد شاكر، الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية، والأوقاف والدعوة والإرشاد، الطبعة: الأولى - ١٤١٨ هـ، ص: ٥٢٦.

(٢) فتح الباري ٣١٦/١٣.

(٣) رواه البخاري، كتاب الأحكام، باب السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصية، (٧١٤٥)، ومسلم، كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية، وتحريمها في المعصية (١٨٤٠).

بالكتاب والسنة، واتباع نهج السلف الصالح في فهمهما والعمل بهما، وإلى الاهتمام بالعلم الشرعي الصحيح، وتلقيه من مصادره الصحيحة، وحث الناس على لزوم حسن الخلق والاقتداء بهدي النبي ﷺ في ذلك، وإرشادهم لمكارم الأخلاق وأحسنها، وبيان أهمية نبذ التفرق، ولزم الجماعة، وطاعة أولي الأمر من العلماء العالمين وأئمة المسلمين، ذلك كله بالحكمة والموعظة الحسنة، وبيان محاسن ذلك وثماره، وأنه التوسط الذي جاء به الإسلام، والمُدْحَة التي مُدِحت بها الأمة من كونها أمة وسطا عدلا.

المطلب الثاني

معوقات تعزيز الوسطية في المجتمع المسلم

تعتبر معوقات تعزيز الوسطية في المجتمع المسلم –من جهة العموم– هي كل ما يناقض سُبل تعزيزها؛ فكل ما يناقض تعزيز الوسطية يعتبر من معوقاتها، وسأذكر أهم معوقات تعزيز الوسطية فيما يلي:

أولا: مجافاة الكتاب والسنة وعدم الرجوع إليهما:

وأعني بالمجافاة هنا جميع صورها، من ترك التلاوة وترك التدبر وترك العمل، وعدم الاقتداء بالسنة ظاهرا وباطنا، فلا يجعلهما ذلك المجافي لهما المرجع الرئيس الذي يرجع إليه ويهتدي ويقتدي به، وإنما تكون علاقته بهما ثانوية قاصرة محاطة بالفتور، ومن ثم يسلك أحد الطرفين المذمومين إما الإفراط أو التفريط، وكلاهما ليسا من الوسطية والاعتدال المأمور بهما شرعا في شيء.

كما تؤدي تلك المجافاة أيضا إلى الاعتماد على الرأي والعقل القاصرين عن الاهتداء بنور الكتاب والسنة، وتلك العقول تختلف باختلاف الأحوال والأهواء، وذلك لا يورث حقا ولا هدى، فضلا عما يؤول إليه من الفرقة والتشرذم، وكل ذلك أبعد ما يكون عن الوسطية.

قال ابن رجب الحنبلي[1]: "وقال الجنيد: علمنا هذا مقيد بالكتاب والسنة، من لم يقرأ القرآن ويكتب الحديث لا يُقتدى به في علمنا هذا. وقد اتسع الخرق في هذا الباب ودخل فيه قوم إلى أنواع الزندقة والنفاق ودعوى أن أولياء اللَه أفضل من

(١) عبد الرحمن بن أحمد بن رجب واسمه عبد الرحمن بن الحسن ابن محمد بن أبي البركات مسعود البغدادي الدمشقي الحنبلي الشيخ المحدث الحافظ زين الدين، ولد ببغداد في ربيع الأول سنة ٧٠٦هـ، وقدم دمشق مع والده، وسمع الشيوخ وأكثر الاشتغال حتى مهر وصنف، ومن منصفاته: شرح الترمذي وقطعة من البخاري وذيل الطبقات للحنابلة واللطائف في وظائف الأيام وغيرها، توفي رجب سنة ٧٩٥هـ. ينظر: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، المؤلف: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)، المحقق: محمد عبد المعيد ضان، الناشر: مجلس دائرة المعارف العثمانية - حيدر اباد - الهند، الطبعة: الثانية، ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م، ٣/ ١٠٩، ذيل طبقات الحفاظ للذهبي، المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، المحقق: الشيخ زكريا عميرات، الناشر: دار الكتب العلمية، ص: ٢٤٣.

الأنبياء. أو أنهم مستغنون عنهم وإلى التنقص بما جاءت به الرسل من الشرائع، وإلى دعوى الحلول والاتحاد أو القول بوحدة الوجود، وغير ذلك من أصول الكفر والفسوق والعصيان كدعوى الإباحة، وحل محظورات الشرائع، وأدخلوا في هذا الطريق أشياء كثيرة ليست من الدين في شيء. فبعضها زعموا أنه يحصل به ترقيق القلوب كالغناء والرقص، وبعضها زعموا أنه يراد لرياضة النفوس لعشق الصور المحرمة ونظرها، وبعضها زعموا أنه لكسر النفوس والتواضع كشهرة اللباس وغير ذلك مما لم تأت به الشريعة، وبعضه يصد عن ذكر اللَه وعن الصلاة كالغناء والنظر إلى المحرم. وشابهوا بذلك الذين اتخذوا دينهم لهواً ولعباً"[1].

ومن الأمثلة على ذلك ما رواه الإمام مسلم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ خرج عام الفتح إلى مكة في رمضان فصام حتى بلغ كراع الغميم، فصام الناس، ثم دعا بقدح من ماء فرفعه، حتى نظر الناس إليه، ثم شرب، فقيل له بعد ذلك: إن بعض الناس قد صام، فقال: «أولئك العصاة، أولئك العصاة»[2].

فمع صيامهم في السفر وتشديدهم على أنفسهم وحصول المشقة لهم بذلك، إلا إن أنهم كانوا عصاة بمخالفة هدي النبي ﷺ مع علمهم بها، ظنا منهم أن رأيهم المتشدد أرجح من تيسر النبي ﷺ ورحمته، فكانت مجافاة الكتاب والسنة شدة على أنفسهم وترك للتوسط والاعتدال، بل وعصيانا.

ثانيا: عدم التقيد بنهج السلف الصالح:*/

يتوهم البعض أن بمقدوره الانسلاخ عن نهج السلف الصالح، والاستقلال بفهم الشريعة بعيدا عن فهم السلف، وذلك في حد ذاته مخالفة للكتاب والسنة اللذين جاء

(١) فضل علم السلف على علم الخلف، ص: ٦.

(٢) رواه مسلم، كتاب الصيام، باب جواز الصوم والفطر في شهر رمضان للمسافر في غير معصية إذا كان سفره مرحلتين فأكثر، وأن الأفضل لمن أطاقه بلا ضرر أن يصوم، ولمن يشق عليه أن يفطر، (١١١٤).

فيهما الأمر باتباع سبيل المؤمنين، وهم أول من يتنزل عليهم (سبيل المؤمنين)، والصحيح أن ذلك غير ممكن؛ فإن أصحاب النبي ﷺ شهدوا نزول الوحي، وعاينوا أفعال النبي ﷺ في جميع الأحوال، وكانوا أمناء فيما نقلوا عنه، إذا فحتمية الرجوع إلى فهم السلف ليست محملا للقبول والرد، بل إن المتحتم على من لا يتبع نهج السلف الصالح، ويرجع إلى فهمهم وتطبيقهم لنصوص الوحي فإنه لزاما أن يبتعد عن الوسطية، وينحرف إما إلى إفراط أو إلى تفريط، وهو مشاهد معلوم.

لذا فإن التخلي عن نهج السلف الصالح وفهمهم لشرائع الإسلام من أهم معوقات تعزيز الوسطية والاعتدال في المجتمع، وذلك أنهم كانوا مثالا يحتذى في الوسطية والاعتدال، ونموذجا للقيام بتلك الوسطية لما شاهدوه وعاينوه في حياة النبي ﷺ، فالبعد عن منهجم ومجافاة فهمهم وطريقتهم يعد بعدا عن التوسط والاعتدال، وميلا إما إلى إفراط أو تفريط.

قال ابن رجب: "فالعلم النافع من هذه العلوم كلها ضبط نصوص الكتاب والسنة وفهم معانيها والتقيد في ذلك بالمأثور عن الصحابة والتابعين وتابعيهم في معاني القرآن والحديث. وفيما ورد عنهم من الكلام في مسائل الحلال والحرام. والزهد. والرقائق. والمعارف. وغير ذلك والاجتهاد على تمييز صحيحه من سقيمه أولا. ثم الاجتهاد على الوقوف في معانيه وتفهمه ثانياً. وفي ذلك كفاية لمن عقل"(١).

فالخروج عن أقوالهم شطط، ونبذ فهمهم جفاء وبعد عن التوسط والاعتدال.

ثالثا: الجهل بالشريعة ومقاصدها:

من أهم المعوقات الجهل بالشريعة وأحكامها ومقاصدها، والذي يؤدي إما إلى إفراط أو تفريط، فيستهين المفَرِّط بتفريطه، ويظن المفْرِط أن الحق في إفراطه.

قال العز بن عبد السلام(٢): "فصل في الاقتصاد في المصالح والخيور:

(١) فضل علم السلف، ص: ٦.

(٢) العز بن عبد السلام، عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقيّ، عز الدين الملقب بسلطان العلماء، فقيه شافعيّ بلغ رتبة الاجتهاد. ولد سنة ٥٧٧هـ في دمشق ونشأ بها، وتولى فيها التدريس، والخطابة بالجامع الأموي، اشتهر بالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وله مواقف كثيرة في

الاقتصاد رتبة بين رتبتين، ومنزلة بين منزلتين، والمنازل ثلاثة: التقصير في جلب المصالح، والإسراف في جلبها، والاقتصاد بينهما. قال الله ﷻ:﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾﴾ [الإسراء: ٢٩]، وقال: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾﴾ [الفرقان: ٦٧]، وقال حذيفة: الحسنة بين السيئتين، ومعناه أن التقصير سيئة، والإسراف سيئة، والحسنة ما توسط بين الإسراف والتقصير، وخير الأمور أوسطها، فلا يكلف الإنسان نفسه من الخيور والطاعات إلا ما يطيق المداومة عليه ولا يؤدي إلى الملالة والسآمة، وقال – عليه السلام – في قيام الليل: «ليصل أحدكم نشاطه فإذا وجد كسلا أو فتورا فليقعد – أو قال فليرقد» – ومن تكلف من العبادة ما لا يطيقه، فقد تسبب إلى تبغيض عبادة الله، ومن قصر عما يطيقه، فقد ضيع حظه مما ندبه الله إليه وحثه عليه، قد «نهى رسول الله ﷺ عن التنطع في الدين وقد هلك المتنطعون»، «وأنكر على عبد الله بن عمرو بن العاص التزامه قيام الليل، وصيام النهار، واجتناب النساء وقال له أرغبت عن سنتي؟ فقال: بل سنتك أبغي، قال: فإني أصوم وأفطر وأصلي وأنام وأنكح النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني»"[1].

فالجهل بعلوم الشريعة آفة خطيرة، وبلية عظيمة تحجب عن معرفة الحق وسنن الهدى، وتؤدي إلى الظلال.

الذب عن دين الله، تفقه على الشيخ فَخر الدّين ابن عساكر، وقرأ الأصول على الشيخ سيف الدّين الآمِدِيّ وغيره، وسمع الحَدِيث من الحافظ أبي مُحَمَّد القَاسِم بن الحافظ الكبير أبي القاسم بن عساكر وغيرهم، روى عنه تلامذته: شيخ الإسلام ابن دَقِيق العِيد، وهو الذي لقبه بسلطان العُلَمَاء والإمام علاء الدّين أَبُو الْحسن الْبَاجِيّ وغيرهم، من مصنفاته: التفسير الكبير، والإلمام في أدلة الاحكام، وقواعد الشريعة، في مجاز القرآن، وغيرها كثير، (توفي ٦٦٠هـ). انظر: طبقات الشافعية الكبرى، المؤلف: تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي (المتوفى: ٧٧١هـ)، المحقق: د. محمود محمد الطناحي د. عبد الفتاح محمد الحلو، الناشر: هجر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية، ١٤١٣هـ، ٢٠٩/٨، الأعلام للزركلي ٢١/٤.

(١) قواعد الأحكام في مصالح الأنام، المؤلف: أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم ابن الحسن السلمي الدمشقي، الملقب بسلطان العلماء (المتوفى: ٦٦٠هـ)، راجعه وعلق عليه: طه عبد الرؤوف سعد، الناشر: مكتبة الكليات الأزهرية – القاهرة، (وصورتها دور عدة مثل: دار الكتب العلمية - بيروت، ودار أم القرى - القاهرة)، طبعة: جديدة مضبوطة منقحة، ١٤١٤ هـ - ١٩٩١م، ١/ ٢٠٥-٢٠٦.

رابعا: التشدد والغلو في الدين:

من أهم معوقات تعزيز الوسطية التشدد والغلو في الدين المنهي عنهما، ففي الحديث المرفوع: «يا أيها الناس إياكم والغلو في الدين، فإنه أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين»(١).

فيظن الغالي والمتشدد أن اليسر دائما يخالف الصواب، وأن الشدة هي مراد الله ﷻ، وقد عنون البخاري ج بابا، قال فيه:

"باب ما يكره من التعمق والتنازع في العلم، والغلو في الدين والبدع لقوله ﷻ: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ﴾ [النساء: ١٧١]"(٢)، ثم أخرج فيه عن أبي هريرة، قال: قال النبي ﷺ: «لا تواصلوا»، قالوا: إنك تواصل، قال: «إني لست مثلكم، إني أبيت يطعمني ربي ويسقيني»، فلم ينتهوا عن الوصال، قال: فواصل بهم النبي ﷺ يومين أو ليلتين، ثم رأوا الهلال، فقال النبي ﷺ: «لو تأخر الهلال لزدتكم» كالمنكل لهم(٣).

والتشدد في الدين والتنطع هلكة، فعن عبد الله بن مسعود ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: «هلك المتنطعون». قالها ثلاثا(٤).

وقوله: "(هلك المتنطعون) أي المتعمقون الغالون المجاوزون الحدود في أقوالهم وأفعالهم"(٥).

والصحيح أن اليسر هو المراد والمقصود شرعا، قال ﷻ: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ﴾ [الحج: ٧٨]، وقال ﷻ أيضا: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ

(١) إسناده صحيح، وسبق تخريجه في المطلب الثاني من المبحث الأول.
(٢) صحيح البخاري ٩٧/٩.
(٣) رواه البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب ما يكره من التعمق والتنازع في العلم، والغلو في الدين والبدع، (٧٢٩٩)، ومسلم، كتاب الصيام، باب النهي عن الوصال في الصوم، (١١٠٣).
(٤) رواه مسلم، كتاب العلم، باب هلك المتنطعون، (٢٦٧٠).
(٥) شرح النووي على مسلم ٢٢٠/١٦.

ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]، وقد سبق حديث عائشة رضي الله عنها قالت: "ما خُيِّر النبي ﷺ بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يأثم، فإذا كان الإثم كان أبعدهما منه.."(١).

قال في قواعد الأحكام: "وقد علمنا من موارد الشرع ومصادره أن مطلوب الشرع إنما هو مصالح العباد في دينهم ودنياهم، وليست المشقة مصلحة. بل الأمر بما يستلزم المشقة بمثابة أمر الطبيب المريض باستعمال الدواء المر البشع، فإنه ليس غرضه إلا الشفاء، ولو قال قائل كان غرض الطبيب أن يوجده مشقة ألم مرارة الدواء، لما حسن ذلك فيمن يقصد الإصلاح"(٢).

(١) رواه البخاري، وسبق تخريجه في المطلب السابق.
(٢) قواعد الأحكام في مصالح الأنام ١/ ٣٧.

الخاتمة

في الختام أذكر أهم النتائج التي خلص إليها البحث، وأبرز التوصيات، وذلك كما يلي:

أهم النتائج:

- الإسلام دين وسطية واعتدال، والخروج عنهما هو ابتعاد عن مقصد الشرع الحنيف.
- الوسطية تتضمن معاني الخيرية والعدل والأفضلية.
- تأكدت مشروعية الوسيطة في الإسلام بالكتاب والسنة وفهم السلف.
- تبزر وسطية الإسلام في كل جوانبه، فهو وسط في الاعتقاد ووسط في العبادات، ووسط في المعاملات، وفي كل ما جاء به.
- كل ما يدعو لفهم الإسلام ومقاصد الشريعة فهما صحيحا، وإلى العمل به على مراد الله ﷻ وهدي نبيه ﷺ، من الاعتصام بالكتاب والسنة، والرجوع لفهم السلف الصالح، والتحلي بحسن الخلق، هو من سبل تعزيز الوسطية في المجتمع المسلم.
- مجافاة الكتاب والسنة، والجهل بمقاصد الشريعة، وعدم التقيد بفهم السلف الصالح من أهم معوقات تعزيز الوسطية في المجتمع المسلم.

أبرز التوصيات:

- الاهتمام بالتوعية الاجتماعية لحقيقة الوسطية والدعوة لذلك، خاصة في جيل الشباب من خلال الندوات والمحاضرات والمؤتمرات.
- إبراز مفهوم الوسطية في المجالات المختلفة كالتربية والتعليم، والمساجد وغيرها.
- التأكيد على أن طرفي الانحراف من الإفراط والتفريط كلاهما يجانب الصواب ويخرج عن مقصود الشريعة.
- التركيز على جانب الاعتدال في الدعوة إلى الله ﷻ، وفي توجيه الدعاة.
- مكافحة عوائق تعزيز الوسطية بالسبل المختلفة والمتنوعة التي تناسب المجتمع، واستخدام الوسائل العصرية في ذلك.

المصادر والمراجع

١- أحكام أهل الذمة، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، المحقق: يوسف بن أحمد البكري – شاكر بن توفيق العاروري، الناشر: رمادى للنشر – الدمام، الطبعة: الأولى، ١٤١٨ – ١٩٩٧م.

٢- إعلام الموقعين عن رب العالمين، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب المعروف بابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١ هـ)، قدم له وعلق عليه وخرج أحاديثه وآثاره: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، شارك في التخريج: أبو عمر أحمد عبد الله أحمد، الناشر: دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ.

٣- الأعلام، المؤلف: خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي، الناشر: دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة عشر – ٢٠٠٢م.

٤- إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، المحقق: محمد حامد الفقي، الناشر: مكتبة المعارف، الرياض، المملكة العربية السعودية.

٥- اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، المحقق: ناصر عبد الكريم العقل، الناشر: دار عالم الكتب، بيروت، لبنان، الطبعة: السابعة، ١٤١٩هـ – ١٩٩٩م.

٦- تاج العروس من جواهر القاموس، المؤلف: محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى الزَّبيدي (المتوفى: ١٢٠٥هـ)، المحقق: مجموعة من المحققين، الناشر: دار الهداية.

٧- تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام، المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، المحقق: الدكتور بشار عوّاد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٣م.

٨- تاريخ العلماء النحويين من البصريين والكوفيين وغيرهم، المؤلف: أبو المحاسن المفضل بن محمد بن مسعر التنوخي المعري (المتوفى: ٤٤٢هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الفتاح محمد الحلو، الناشر: هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، القاهرة، الطبعة: الثانية ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م

٩- تاريخ بغداد المؤلف: أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (المتوفى: ٤٦٣هـ)، المحقق: الدكتور بشار عواد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.

١٠- التحف فِي مَذَاهِب السّلف، المؤلف: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ)، المحقق: سيد عاصم علي، الناشر: دار الصحابة للتراث للنشر والتحقيق والتوزيع، طنطا – مصر، الطبعة: الأولى، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩م.

١١- تخريج أحاديث الكشاف = تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزمخشري، المؤلف: جمال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف بن محمد الزيلعي (المتوفى: ٧٦٢هـ)، المحقق: عبد الله بن عبد الرحمن السعد، الناشر: دار ابن خزيمة – الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـ.

١٢- تفسير ابن أبي حاتم = تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم، المؤلف: أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (المتوفى: ٣٢٧هـ)، المحقق: أسعد محمد الطيب، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثالثة - ١٤١٩هـ.

١٣- تفسير الطبري = جامع البيان عن تأويل آي القرآن، المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر الدكتور عبد السند حسن يمامة، الناشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١م.

١٤- تفسير القرآن العظيم، المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، المحقق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م.

١٥- تفسير الماوردي = النكت والعيون، المؤلف: أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: ٤٥٠هـ)، المحقق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

١٦- تهذيب اللغة، المؤلف: أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار النشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت - ٢٠٠١م، الطبعة: الأولى.

١٧- الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية - القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.

١٨- الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، تحقيق: علي بن حسن - عبد العزيز بن

إبراهيم – حمدان بن محمد، الناشر: دار العاصمة، السعودية، الطبعة: الثانية، ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م.

١٩- الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر، المؤلف: شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد السخاوي (المتوفى: ٩٠٢هـ)، المحقق: إبراهيم باجس عبد المجيد، الناشر: دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٩م.

٢٠- درء تعارض العقل والنقل، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، تحقيق: الدكتور محمد رشاد سالم، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثانية، ١٤١١ هـ – ١٩٩١م.

٢١- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، المؤلف: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)، المحقق: محمد عبد المعيد ضان، الناشر: مجلس دائرة المعارف العثمانية – حيدر اباد – الهند، الطبعة: الثانية، ١٣٩٢هـ – ١٩٧٢م.

٢٢- دور الوسطية في تعزيز الوحدة الوطنية، المؤلف: د. فرات عبد الكريم الجبوري، الناشر: مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية، جامعة بابل، العدد: ١٩، سنة ٢٠١٥م.

٢٣- ذيل طبقات الحفاظ للذهبي، المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، المحقق: الشيخ زكريا عميرات، الناشر: دار الكتب العلمية.

٢٤- ذيل طبقات الحنابلة، المؤلف: زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (المتوفى: ٧٩٥هـ)، المحقق: د عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، الناشر: مكتبة العبيكان – الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٢٥ هـ – ٢٠٠٥ م.

٢٥- زاد المسير في علم التفسير، المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)،الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤٢٢ هـ.

٢٦- سنن ابن ماجه، المؤلف: ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد (المتوفى: ٢٧٣هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء الكتب العربية – فيصل عيسى البابي الحلبي.

٢٧- سنن أبي داود، المؤلف: أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد الناشر: المكتبة العصرية، صيدا – بيروت.

٢٨- سنن الترمذي = الجامع الكبير، المؤلف: محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ)، المحقق: بشار عواد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي – بيروت، سنة النشر: ١٩٩٨م.

٢٩- سير أعلام النبلاء، المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، المحقق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٥ هـ – ١٩٨٥م.

٣٠- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة، المؤلف: هبة الله بن الحسن بن منصور اللالكائي أبو القاسم، الناشر: دار طيبة – الرياض، ١٤٠٢، تحقيق: د. أحمد سعد حمدان.

٣١- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، المؤلف: أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري الرازي اللالكائي (المتوفى: ٤١٨هـ)، تحقيق: أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي، الناشر: دار طيبة – السعودية، الطبعة: الثامنة، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٣م.

٣٢- شرح العقيدة الطحاوية، المؤلف: صدر الدين محمد بن علاء الدين عليّ بن محمد ابن أبي العز الحنفي، الأذرعي الصالحي الدمشقي (المتوفى: ٧٩٢هـ)، تحقيق: أحمد شاكر، الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية، والأوقاف والدعوة والإرشاد، الطبعة: الأولى – ١٤١٨ هـ.

٣٣- صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، المؤلف: محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٤ – ١٩٩٣، تحقيق: شعيب الأرنؤوط.

٣٤- صحيح ابن خزيمة، المؤلف: أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة بن صالح بن بكر السلمي النيسابوري (المتوفى: ٣١١هـ)، المحقق: د. محمد مصطفى الأعظمي، الناشر: المكتب الإسلامي – بيروت.

٣٥- صحيح البخاري = الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري، المؤلف: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.

٣٦- صحيح مسلم = المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، المؤلف: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٣٧- طبقات الشافعية الكبرى، المؤلف: تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي (المتوفى: ٧٧١هـ)، المحقق: د. محمود محمد الطناحي د. عبد الفتاح محمد الحلو، الناشر: هجر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية، ١٤١٣هـ.

٣٨- فتح الباري شرح صحيح البخاري، المؤلف: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، الناشر: دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩هـ، رقّم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز.

٣٩- الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، حققه وخرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط، الناشر: مكتبة دار البيان، دمشق، عام النشر: ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥م.

٤٠- قواعد الأحكام في مصالح الأنام، المؤلف: أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي، الملقب بسلطان العلماء (المتوفى: ٦٦٠هـ)، راجعه وعلق عليه: طه عبد الرؤوف سعد، الناشر: مكتبة الكليات الأزهرية - القاهرة، (وصورتها دور عدة مثل: دار الكتب العلمية - بيروت، ودار أم القرى - القاهرة)، طبعة: جديدة مضبوطة منقحة، ١٤١٤ هـ - ١٩٩١م.

٤١- قواعد الأحكام في مصالح الأنام، المؤلف: أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي، الملقب بسلطان العلماء (المتوفى: ٦٦٠هـ)، راجعه وعلق عليه: طه عبد الرؤوف سعد، الناشر: مكتبة الكليات الأزهرية - القاهرة، (وصورتها دور عدة مثل: دار الكتب العلمية - بيروت، ودار أم القرى - القاهرة)، طبعة: جديدة مضبوطة منقحة، ١٤١٤هـ - ١٩٩١م.

٤٢- كتاب السنة (ومعه ظلال الجنة في تخريج السنة بقلم: محمد ناصر الدين الألباني)، المؤلف: أبو بكر بن أبي عاصم وهو أحمد بن عمرو بن الضحاك بن مخلد الشيباني (المتوفى: ٢٨٧هـ)، الناشر: المكتب الإسلامي، الطبعة: الطبعة الأولى، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

٤٣- كشف المشكل من حديث الصحيحين، المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، المحقق: علي حسين البواب، الناشر: دار الوطن – الرياض.

٤٤- لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (ت٧١١هـ)، الحواشي: لليازجي وجماعة من اللغويين، الناشر: دار صادر – بيروت، الطبعة الثالثة، سنة ١٤١٤هـ.

٤٥- لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية، المؤلف: شمس الدين، أبو العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي (المتوفى: ١١٨٨هـ)، الناشر: مؤسسة الخافقين ومكتبتها – دمشق، الطبعة: الثانية – ١٤٠٢ هـ – ١٩٨٢م.

٤٦- مجموع الفتاوى، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى: ٧٢٨هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، عام النشر: ١٤١٦هـ – ١٩٩٥م.

٤٧- المجموع شرح المهذب مع تكملة السبكي والمطيعي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، دار الفكر.

٤٨- المحكم والمحيط الأعظم، المؤلف: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي ــ سنة الوفاة ٤٥٨هـ، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، الناشر: دار الكتب العلمية، مكان النشر: بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠٠م.

٤٩- مختار الصحاح، المؤلف: زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي المتوفى: ٦٦٦هـ المحقق: يوسف الشيخ محمد ن:المكتبة العصرية – الدار النموذجية، بيروت – صيدا الطبعة: الخامسة، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.

٥٠- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، المحقق: محمد المعتصم بالله البغدادي، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤١٦ هـ – ١٩٩٦م.

٥١- المستدرك على الصحيحين، أبو عبدالله الحاكم محمد بن عبدالله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري ابن البيع، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١هـ-١٩٩٠م.

٥٢- مسند الإمام أحمد بن حنبل، المؤلف: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١م.

٥٣- مسند الدارمي، المعروف بـ (سنن الدارمي)، تأليف أبي محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بَهرام بن عبد الصمد الدارمي، التميمي السمرقندي ت(٢٥٥هـ)، تحقيق: حسين سليم أسد الداراني، دار المغني للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٢ هـ – ٢٠٠٠م.

٥٤- مصنف ابن أبي شيبة = الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، المؤلف: أبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي (المتوفى: ٢٣٥هـ)، المحقق: كمال يوسف الحوت، الناشر: مكتبة الرشد – الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٠٩هـ.

٥٥- معالم الوسطية عند الصحابة رضي الله عنهم، المؤلف: د. حاتم بن محمد بوسمة، الناشر: مجلة علوم الشريعة والدراسات الإسلامية، العدد ٧٤، ١٤٤٠هـ.
٥٦- معالم الوسطية ومقوماتها في الإسلام، المؤلف: د. محمد ولي الله عبدالرحمن، الناشر: مجلة كلية الشريعة والقانون بطنطا، جامعة الأزهر – مصر، العدد ٣٤، الجزء ٢/١.
٥٧- معالم في السلوك وتزكية النفوس، المؤلف: عبد العزيز بن محمد بن علي آل عبد اللطيف، الناشر: دار الوطن، الطبعة: الأولى ١٤١٤هـ.
٥٨- معاني القرآن وإعرابه، المؤلف: إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (المتوفى: ٣١١هـ)، المحقق: عبد الجليل عبده شلبي، الناشر: عالم الكتب – بيروت، الطبعة: الأولى ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨م.
٥٩- معجم الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، المؤلف: شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (المتوفى: ٦٢٦هـ)، المحقق: إحسان عباس، الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٤ هـ – ١٩٩٣م.
٦٠- المعجم المختص بالمحدثين، المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، تحقيق: د. محمد الحبيب الهيلة، الناشر: مكتبة الصديق، الطائف، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨م.
٦١- معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ)، المحقق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، عام النشر: ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م
٦٢- مفاهيم خاطئة في الوسطية بين الإفراط والتفريط (رؤية في ضوء الإسلام)، للباحثة: بسمة أحمد جستينية، أبحاث ندوة الوسطية، منشورات كرسي الإمام محمد بن عبد الوهاب للوسطية ودراستها، المدينة المنورة.

٦٣- المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد، المؤلف: إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن محمد ابن مفلح، أبو إسحاق، برهان الدين (المتوفى: ٨٨٤هـ)، المحقق: د عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، الناشر: مكتبة الرشد - الرياض - السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

٦٤- المنتخب من مسند عبد بن حميد، المؤلف: أبو محمد عبد الحميد بن حميد بن نصر الكَسّي ويقال له: الكَشّي بالفتح والإعجام (المتوفى: ٢٤٩هـ)، تحقيق: الشيخ مصطفى العدوي، الناشر: دار بلنسية للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

٦٥- منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، المحقق: محمد رشاد سالم، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦م.

٦٦- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج = شرح النووي على مسلم، المؤلف: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الثانية، ١٣٩٢هـ.

٦٧- المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي، المؤلف: يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي، أبو المحاسن، جمال الدين (المتوفى: ٨٧٤هـ)، حققه ووضع حواشيه: دكتور محمد محمد أمين، تقديم: دكتور سعيد عبد الفتاح عاشور، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

٦٨- نظم العقيان في أعيان الأعيان، المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، المحقق: فيليب حتي، الناشر: المكتبة العلمية - بيروت.

٦٩- النهاية في غريب الحديث والأثر، المؤلف: مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (المتوفى: ٦٠٦هـ)، الناشر: المكتبة العلمية – بيروت، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى – محمود محمد الطناحي.

٧٠- وسطية العقيدة الإسلامية وأثرها في تحقيق الأمن الفكري، المؤلف: د. أحمد عبد الصمد محمد الأمين، الناشر: مجلة أبحاث، كلية التربية – جامعة الحديدة، العدد ١، المجلد ١١، سنة ٢٠٢٤م.

٧١- الوسطية في الإسلام، المؤلف: محمد عبد اللطيف صالح الفرفور، الناشر: دار النفائس، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٩٣م.

٧٢- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، المؤلف: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (المتوفى: ٦٨١هـ)، المحقق: إحسان عباس، الناشر: دار صادر، بيروت. الطبعة: من ١٩٠٠م، إلى ١٩٩٤م.